

بُجَات كُرَيْتِي

الغيرة القاتلة

الجزء الأول



مكتبة الفسافية
بيروت لبنان



National Organization of the Alexandria Library (N.O.A.L.)
Shubha Al-Ahram

الغيرة القاتلة

14597

أَجَاتَا كَرِيسْتِي

الغيرة القاتلة

الجزء الأول

الطبعة الخامسة مكتبة الاستغنية
رقم الترخيص: 823
رقم التسجيل: _____

مكتبة الشفافية
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الغيرة القاتلة

الفصل الاول

الام

- ١ -

وقفت آن برنتيس على رصيف القطار ، في محطة فيكتوريا ، واخذت
تلوح بيديها ..

وسار القطار وهو يزجر ويطلق صفارات ناقية متتابة !

ثم ابتعد القطار واختفى معه وجه سارة الصغيرة ، واستدارت
آن يبطء فوق الرصيف نحو باب الخروج .. والام العميق يأخذ
بمجامع قلبها .

سارة الصغيرة الغالية .. كم ستشتاق إليها ..

صحيح . إنها ان تغيب أكثر من ثلاثة أسابيع ، ولكن كيف تقضي الأم المحبة هذه المدة (الطويلة) بدون سارة ؟ وكـم سيبدو المنزل كئيباً خالياً بدون ضحكات سارة البهلورية ؟

ثلاثة أسابيع ولن يكون في المنزل إلا آن برنتيس وخادماتها
المخلصة أدب ..

امراتان في خريف العمر .. امرأتان عبرتا رحلة الحياة حتى أصبح أي شيء يرضيهما ، أما سارة فلإنها مقعمة بالحياة ، مليئة بالحياة ، واثقة من رأيها في كل شيء ، وإن كانت لا تمدو أن تكون طفلة جميلة سوداء الشعر !

لا .. لا اما أبشع هذا التفكير .. إنه تفكير خليق بأن يغضب سارة التي لا يغضبها شيء - - وكل الفتيات اللاتي في سنها - مثل التلميح بأنهن لا تستشير أسرتهن في شيء ..

إنها تقول في الحال « كلام فارغ يا ماما » ، بعكس الحال في الأمور (اللطيفة) الأخرى مثل غسل الثياب وكنسها ، ومثل المكالمات التليفونية التي لا تنتهي ..

« من فضلك يا ماما اطلبي صديقتي كارول بالتليفون واعتذري لها عن تأخري عليها » .. أو « آسفة يا ماما كنت أوي أن أرتب حجرتي ولكنني مستعجلة جداً » !

ثم قالت آن لنفسها : « عندما كنت شابة صغيرة في سن سارة . »

وابتسمت أساريرها وعادت بها الذكريات إلى الماضي . لقد نشأت في منزل محافظ ، وكانت أمها في الأربعين عندما أحببتها ، وكان والدها يكبر أمها بخمسة عشر عاماً على الأقل ..

كان الأب - حسب التقاليد القديمة - هو رب البيت ، ولم يكن للمواطف أي مجال في مثل هذا الجو المحافظ ، وكانت أمها تكتفي بأن تقول : ها هي ابنتي الصغيرة ..

وكان والدها . الذي لا يبتسم إلا نادراً .. يسميها « لمبة » بابا الصغيرة .

وعندما شئت أن هن الطوق كان عليها أن ترتب المنزل وأن تساعد في المطبخ ، وفي التسويق ، وفي الرد على الخطابات وفي كل أمور العائلة ، ولم تكن أن تجد في ذلك أي غرابة .

إن (البنات) يولدن لخدمة ذوجهن وليس العكس !
وهنا سألت آن نفسها : أي الحالين أفضل ؟ الماضي أم الحاضر ؟
ومن العجيب إنها لم تستطع الاجابة بسهولة على هذا السؤال .



وروقت في سيرها أمام فاترينة وهي تبتسم في حيرة بحثاً عن إجابة معقولة عن خواطرها ..

وجذب انتباهها كتاب يبدو عليه أنه تمتع (لكي تقرأ هذا المساء

وهي مجلس أمام المدفأة) ..

وفي الحال جاءها الجواب .. لا هم - هذا هو الجواب .. لا هم حقاً من الذي يخدم من : الابنة أم الأسرة .. إن الأمر سيان ، هذه كلمات أمور ظاهرية لا تؤثر إطلاقاً على الروابط الأسرية التي تربط بين الأطفال وبين ذويهم .

لأنها تعرف إن بينها وبين ابنتها سارة حب غامر عميق .

وعند ذلك اشترت آن الكتاب الذي أعجبها وهي ترجو أن تجد به من المتعة ما يعوضها عن افتقادها سارة هذا المساء .. ثم سارت وهي تحاول أن تتغلب على خطرات قلبها : « سوف أفتقد سارة سارة .. طبعاً » ، سوف أفتقد جداً ، ولكنني سوف أنعم بالهدوء والسلام لمدة ثلاثة أسابيع ، ..

وفضلاً عن ذلك ، فإن أدبتي سوف تتمتع بشيء من الراحة أيضاً ، وسوف تتمكن من القيام بعملها وهي آمنة من تدخل سارة المستمر في كل شيء ، ومن المواعيد القريبة التي تحب ان تتناول فيها الطعام ، ومن أصدقاء سارة العديدين الذين يتقاطرون على المنزل في أي لحظة طالبين الحلوى والشاي والطعام !

لن تقول سارة : ماما هل في الامكان التذكير في موعد الغذاء ؟
إنني سوف أذهب إلى السينما مع الشقة !

أو : الو .. ماما ؟ لا تنتظريني على العشاء الليلة ..

لا شيء من هذا كله حمداً لله ، لن تدق أدبتي المسكينة كفاً يكف

ولن ترفع يديها إلى السماء في استسلام ؟

ولا يعني ذلك أن أدبث تكره سارة .. إن أدبث موجودة في
المزمل منذ عشرين عاماً ، قبل عشرين عاماً ، قبل مولد سارة ، وهي
التي تلقفتها على يديها من عالم الغيب ..

إنها لا تكرهها ، إنها تزجر وتصبح وتصرخ ، ولكنها في الراقع
تحب سارة كثيراً .. إنها أمها الثانية !

ومن الذي يستطيع ان يكره سارة ؟

إنها فقط فقرة راحة وسلام ، مهدوء أيضاً ، هدوء بارد .

وشمرت أن يخوف غريب يحتاجها ويحمل أطرافها ترتجف . ورغماً
عنها وجدت نفسها بحالة هدوء بارد ، لا شيء إلا الهدوء البارد
الذي يمتد عبر ثلوج الوحدة والشيخوخة إلى الموت .. لا شيء يمكن
التطلع إليه .. لا أمل يمكن التفكير فيه .

صاحت آن وكأنها ترد على خواطرها : د ولكن ماذا أريد ؟

لقد تمتعت بكل شيء في حياتي .. تمتعت بالحب والسعادة مع باتريك
الجبينا طفلتنا الغالية سارة ، لقد حصلت على كل ما أريده من
الحياة .. والآث .. انقضى كل هذا .. الآن سوف تتابع سارة
الحياة حيث توقفت أنا .. سوف تتزوج وتنجب أطفالاً ، وسوف
أصبح جدة !

وابتسمت آن .. من المؤكد إنها سوف تكون سعيدة عندما تصبح

جدة .. سوف يكون عندها حفنة من الأحفاد الرائعي الجمال .

اطفال سارة .. سوف يكونون اشقياء متعبين مشاكسين ، ولكن
سوف يكون لهم شعر سارة الأسود الجميل ، وسوف تقرأ وتحكي لهم
القصص والاساطير !

ما أجل هذه الصورة .. ولكن الخوف البارد الغريب ما زال
يقبض على جماع قلبها .. لو أن باتريك لم يمت !

لقد مات منذ زمن بعيد جداً ، عندما كانت سارة لا تزال في
الثالثة من عمرها.. ولكنها لم تلس قط ذكرى ذلك الزوج الشاب
الجميل .. الذي ملأ حياتها حباً وحيوية .. ثم اختفى كما يختفي
الشباب ..

لماذا تذكره بقوة الآن ؟

لماذا تشعر بالحزن بتجدد على باتريك ، وكأنما قد فقدته بالأمس
فقط ؟

نعم لو ان باتريك كان على قيد الحياة لكان في امكان سارة
أن تسافر كما يحلو لها ، وأن تتزوج .. وفي نفس الوقت كانت آت
تبقى مع باتريك لكي يواجهها معاً خريف العمر . نعم ما كانت آن
لتكون وحيدة هكذا ..

وصلت آن إلى ميدان المحطة الصاحب المزدحم ، وقالت لنفسها :
« ما أشد ما تشبه هذه الأوتريسات الضخمة الحمراء وحوشاً
خرافية تنتظر الطعام .. وما أكثر ازدحام الميدان بالناس .. أفس
يسرعون ، وأفس يروحون ، وهم يتكلمون ويضحكون ويتواعدون

على اللقاء ،

ومرة أخرى عاود أن ذلك الشعور الخفيف البارد ، الشعور بالوحدة المطلقة ..

قالت لنفسها وهي تحاول أن تقاوم هذه الحواطر الغادرة :

« لقد حان الوقت الذي يجب أن تستقل فيه سارة بنفسها ، نعم يجب أن أكف عن تعلقي الزائد بها هكذا . ويجب أيضاً أن أقاوم تعلقي الزائد بي .. من الظلم أن تشجع الصغار على التعلق بنا إلى هذا الحد . من الظلم ، بل من الشر أيضاً .. يجب ان اشجع سارة على ان تخطط حياتها بنفسها .. وعلى أن تختار أصدقاءها بنفسها . »

وهنا ابتسمت ان ، لأن سارة في الحقيقة لم تكن قط في حاجة إلى تشجيع في أي شيء .

إن سارة تختار أصدقاءها بنفسها دائماً ، وتفعل ما يحلو لها في أي وقت دون الرجوع إلى أمها في أي شيء . صحيح انها تعبد أمها ، ولكن من الصحيح أيضاً إنها تأخذ رأيها الخاص في كل شؤون حياتها !

إن آن بلغت الواحدة والأربعين من عمرها ، ولعل هذا السن يبدو لسارة وكأنه أرذل العمر ، في حين أنها كانت لا تزال متددة في ان تطلق على نفسها (امرأة في منتصف العمر) !

لم تكن تقاوم السنين . لم تكن تستعين بالمساحيق ، ولا الشباب

الأنينة الزاهية الألوان ، ولكنها كانت تشعر بينها وبين نفسها انها ليست امرأة في منتصف العمر .

وتنهدت ان : ما اغباني .. ما هذه الوسوس الحقاء ؟ لعل السبب هو رؤيتي سارة قبتعد عني !

ماذا يقول الفرلسيون عن الفراق ؟

الفراق هو موت مؤقت ..

نعم .. هذا حقيقي .. اين سارة الآن ؟ إنها ميتة بالنسبة لي الآن .. وانا ميتة بالنسبة لسارة ..

الفراق شيء غريب .. التباعد بالأجسام ، ما هي سارة الآن تحيا حياة خاصة بها ، وأن ايضا تحيا حياة خاصة بها .

وداخلها عند ذلك مرور صبياني مباحث : إنها حرة تماما الآن ، تستطيع الآن ان تستيقظ متأخرة أو مبكرة كما يحلو لها .. تستطيع ان تخطط أيامها حسب هواها .. تستطيع ان تتناول افطارها في الفراش ، وتستطيع ايضا ان تتناول عشاءها مبكرة ، كي تذهب إلى المسرح او إلى السينما !

او تستطيع ان تأخذ الغطار - اي قطار - وتذهب إلى الريف كي تتمشى بين الحقول الخضراء والفلجات العذراء ، وتستنشق هواء الريف النقي . وترى السماء الزرقاء ، كما تبدو من بين خصون الأشجار ..

ولا يعني ذلك أنها ما كانت لتستطيع ان تحظى بكل هذه المتع في

وجود سارة ..

إن سارة لا تتدخل في حياتها بأي شيء ، ولكن الذي كان يحدث أنها كانت تجد متعة اعظم في مراقبة سارة وهي تخرج وتعود .

ما أبدع ان تكون المرأة أما . إنه شيء مثل ان ترى نفسها تولد من جديد ، وتنمو من جديد ، وتستكشف الدنيا كلها من جديد وهي بمنجاة من آلام الشباب وعذاب المراهقة .

إن التجربة تعلمها إن ما يبدو خطيراً قد لا تكون له أهمية ، وتستطيع ان تفكر فيه في هدوء وهي تبسم .

قد تصيح سارة : ولكن يا ماما الموضوع خطير جداً ، إنه مسألة حياة او موت .. إن صديقتي ناديا تشعر ان مستقبلها كله في خطر ، ارجوك ألا تبترسي يا ماما !

ولكنها تبسم ، لأنها تعلم ان مستقبل اي فتاة لا يكون قط في خطر ، وان الحياة من المرونة والرحابة بحيث تسمح بآلاف الحلول لكل المشاكل ..

لقد عملت آن فترة من شبابها في سيارة اسعاف إناث الحرب ، وتعلمت من مشاهداتها مدى تفاهة كل شيء ..

تعلمت إناث المشاعر الصغيرة مثل الحسد والحقد والغيرة والسرور والخيلاء كل ذلك لا يساوي شيئاً عندما يشعر الانبياء في الحرب انه معرض للموت في أي لحظة !

وتعلمت أيضاً أنه من الصعب كثيراً أن يصنف المرء الناس إلى

أخيار أو أشرار ، كما كانت ترى الناس في شبابها ..
ما أكثر ما رأت شخصاً يخاطر بحياته في شجاعة رائمة لينقذ حياة
شخص من حادث تصادم ، ثم ترى هذا الشخص الشجاع نفسه
يرتكب عملاً وضيعاً مثل أن يسرق محفظة الشخص الذي أنقذه من
الموت .
الناس لا يعبثون في قوالب جامدة



وفي هذه اللحظة وجدت أن نفسها أمام سيارة تاكسي . وسألت
نفسها بسرعة :
- أين أذهب الآن ؟
لقد كان توديعها لسارة هو كل عملها هذا الصباح ، وفي المساء كانت
على موعد للعشاء مع جيمس جرانت . جيمس العزيز العطوف .
قال لها بالأمس وهو يؤكد دعوته للعشاء :
- سوف تشعرون بفراغ بعد فراق سارة ، تعالي ودعينا نقضي
أمسية بديعة .
كان ذلك كرمًا من جيمس الذي كانت سارة تسخر دائماً من احترام
أمها له وتقول :
- خادملك المطيع يا ماما ؟

إن جيمس حقاً شخص رقيق ودبيع بالرغم من أن آن كانت تشرد كثيراً عندما يحكي لها حكاية من حكاياته العديدة التي تتشعب بدون نهاية ..

وكانت تلوم نفسها دائماً . إن صداقة خمسة وعشرين عاماً تفرص عليها - على الأقل - أن تصفي لحكايات جيمس الساذجة التي يحدّثها كغيرة وهو يحكيها .

نظرت آن إلى ساعتها ، وفكرت أن تذهب إلى (مخازن الجيش والأسطول) ، كي تشتري بعض أدوات المطبخ التي طلبتها أدبث ، وفي الحال استقلت التاكسي ووصلت إلى المخازن .

سارت بين صفوف الأدوات المعدنية اللامعة وأطباق الصيني البيضاء وهي تنفحصها بذهن شارد ، وتسال عن الأسعار (التي ارتفعت ارتفاعاً غريباً) ، وكانت تشعر طول الوقت بذلك الرعب البساردي يسطر على حواسها .

وأخيراً .. لم تستطع مقاومة هذا الشعور ، فقصدت إلى أقرب تلفون ..

- هل من الممكن أن أكلم السيدة لورا ويتسابل من فضلك ؟

- من المتحدث ؟

- مسز برنتيس !

- لحظة واحدة يا مسز برنتيس ؟

وما هي إلا لحظة حتى جاءها صوت صديقتها العميق :

- آن ؟
- أوه . لورا .. أعرف إنني لا يجب أن أتصل بك في هذا الوقت . ولكنني ودعت سارة لتوي وكنت أتساءل ما إذا كان عندك بعض الوقت .
قاطعتها لورا :
- فلنتناول الغذاء معا .. ما رأيك ؟
- أنت ملاك !
- سوف انتظرك إذا ، الواحدة والربع تماما

- ٢ -

كانت الساعة الواحدة وأربعة عشر دقيقة عندما خرجت آن من سيارة التاكسي ، ودفعت الأجر للسائق ..
ثم دقت جرس الباب ..
في الحال ، فتحت لها الباب الوصيفة هاركنيس وقالت لها باسمه :
- تفضلي بالصعود إلى الدور الأعلى يا مسز برنتيس وسوف تلحق بك السيدة لورا بعد دقائق قليلة ..
صعدت آن السلم حيث مائدة الطعام معدة في انتظارها .

كانت الحجرية تبدو وكأنها حجرة رجل ، وليست حجرة امرأة ..
مقاعد ضخمة وثيرة وكليات هائلة من الكتب ، وستائر ثينة ذات
ألوان زاهية ..

ولم تنتظر آن طويلاً .. وسرعان ما جاءها صوت لورا العميق
يسبقها على السلم ، ودخلت لورا الحجرية حيث تعانقت المراكب في
ود صاف .

كانت السيدة لورا امرأة في الرابعة والستين ، وكان لها مظهر
الإنسانة التي تعرف أن لها شخصية هامة في المجتمع . كان كل ما فيها
أكبر من حجمه الطبيعي في مشيها من النساء ، صوتها وصدرها وشعرها
الفضي وأنفها الذي يشبه منقار اللسر ..

قالت لورا :

- ما أسمعني برؤيتك يا صغيري .. أنتِ تبدين أكثر جمالا يوما
بعد يوم .. وأرى أنك أحضرت معك باقة من زهر الترجس ، هذا لطف
منك ، كما أن الترجس الذابل هو الزهر الذي يشبهك ؟

قالت آن :

- الترجس الذابل ..

- بل حلوة الخريف التي تحنني خاف أوراق الشجر .

ضحكت آن وقالت :

- ماذا حدث لك يا لورا اليوم ؟ أنت مجسامة جداً على عكس
عادتك .

- لأنني أحاول أن أكون ظريفة ، ولو أن ذلك يكلفني جهداً نفسياً

كثيراً ، ولكن دعينا نأكل فوراً ، بأسيت .. أين بأسيت هذه ؟ ما رأيك
في هذه الأصناف من الطعام يا عزيزتي ؟

- هذا كثير جداً يا لورا حقاً ، كنت أتوقع غذاء بسيطاً !

قالت لورا :

- كلام فارغ .. اجلسي ، إذا سافرت سارة إلى سويسرا ؟ كم
ستبقى هناك ؟

- ثلاثة أسابيع ..

- بديع جداً ؟

وانتظرت لورا حتى انتهت الخادمة بأسيت من وضع باقي الأصناف
على المائدة ، ثم أخذت ترشف قدامها من اللبن ، قالت :

- من المؤكد أنك سوف تشعرين برحشة وفراغ بعد سفر سارة ،
ولكن لا يمكن أن يكون هذا هو كل ما يزعجك ، هيا يا آن اخبريني
بكل مشاكلك ، ليس أمامنا وقت كثير ، أنا أعرف انك تحبيني ،
ولكني أيضاً أعرف أنه عندما تطلبني صديقة ورجو رؤيتي فوراً فلأنها
تبحث عن حكني لا عن جاذبيتني .

قالت آن في خجل :

- انا اسفة حقاً يا لورا .

- كلام فارغ يا عزيزتي .. ذلك لا يفضيني البتة ، بل إنني أجده
نوعاً من التقدير .

قالت آن في سرعة :

- أوه . لورا .. اعرف إنني حقاً .. حقاً تماماً .. ولكنني أجد نفسي غريبة لرعب مفاجئ .. عندما كنت في ميدان محطة فيكتوريا ، وسط كل هذه الأوتوبسات ، شعرت بأني وحيدة !

قالت لورا في تفكير :

- نعم .. إلي افهم ذلك !

استمرت آن قائلة :

- لم يكن السر فقط هو سفر سارة ، كان شيئاً أخطر من ذلك بكثير ..

أومأت لورا برأسها ولكنها لم تتكلم !

قالت آن :

- أعني ان الشعور بالوحدة لا يجب ان يكون شيئاً جديداً بالنسبة لي ، فأنا دائماً وحيدة ؟

- إذا فقد عرفت ذلك أخيراً ، نعم إن الوحدة منا تكتشف ذلك عاجلاً أم آجلاً ، والغريب أنها دائماً صدمة .. ما هو عمرك على فكرة ؟ يا آن ؟ واحد وأربعون عاماً ؟ إنه سن مناسب جداً لذلك الاكتشاف ، لأنه إذا تأخر بك العمر في الاكتشاف فإنك تتعرضين للانهيار .. وإذا تقدم بك العمر فإنك تحتاجين لشجاعة نفسية هائلة للاعتراف به .

قالت آن في فضول :

- هل شعرت قط بأنك وحيدة يا لورا ؟

تهتت لورا وقالت :

- طبعاً .. لقد جاءني ذلك الشعور أول مرة وأنا في السادسة والعشرين ، وأنا واحدة من أفراد عائلة كبيرة يقرق عليها الحب والوثام لقد أدهشني ذلك الشعور وملأني بالرعب ، ولكنني سلمت به ، لا يجب أن ننكر الحقيقة أبداً .. يجب أن نسلّم بالحقيقة التي تقول بأنه ليس للانسان في هذه الدنيا من رفيق يصاحبه من المهد إلى اللحد إلا شخص واحد .. نفسه ! ويجب على الانسان أن يوطد علاقته بهذا الرفيق .. أن يتعلم كيف يصادق نفسه .. هذا هو الواجب ، وهو ليس سهلاً دائماً ..

- لقد شعرت بأن الحياة تبدو فجأة فارغة من المعنى ومن الهدف ، إنني أعترف لك بكل شيء يا لورا . شعرت بأن الحياة أصبحت عبارة عن سنوات تمتد دون أن يملأها شيء هام ، لا حزن ولا فرح ولا جديد ، أوه . أعتقد اني امرأة حقاء ، لا أكثر ولا أقل ؟

قاطعتها لورا :

- لا .. لا يا عزيزتي .. حافظي على صوابك .. تذكرني ماضيك الرائع .. لقد أدبت عملاً عظيماً أبان الحرب .. لقد نجحت في تربية سارة وعلمتها كيف تكون فتاة رضية الخلق ، وكيف تحب الحياة بالطريقة الهادئة التي تحبين بها الحياة .. يجب أن يكون ذلك كافياً جداً عزاء لك .

- يا عزيزتي لورا ، أنت حكيمة وعطوفة ، ولكن أخشى إنني أفرط في حيي لسارة أكثر مما ينبغي !

- كلام فارغ ..

- إنني أخشى دائماً أن أصبح واحدة من الأمهات اللاتي يحببن بناتهن إلى درجة السيطرة والديكتاتورية التي تحول حياة بناتهن إلى جحيم ؟

قالت لورا في هدوء :

- بل هناك كثير من الأمهات يفكرن مثلك إلى درجة أنهن يتمودن على ألا يحببن بناتهن !

قالت آن في استنكار :

- ولكن السيطرة شيء فظيع .

- طبعاً .. لقد رأيت هذه الحالة كثيراً .. رأيت امهات (يمتكرون) بناتهن ، وابعاء (يمتكرون) أبنائهم ويفرضون عليهم حياتهم الخاصة ، ويفرضون (الماضي) على (المستقبل) .. إنهم يحاولون ان يعيشوا حياة أبنائهم وهذا شيء ضد الطبيعة ..

لقد كان عندي ، في وقت من الأوقات عش طيور في حجرتي ، وعندما فقس البيض ، وغما ريش الطيور الصغيرة طارت ما عدا واحداً . أراد ذلك الطائر الصغير أن يبقى في العش ، وأن يعتمد في طعامه على أمه ، ورفض أن يتعلم الطيران . وقد ازعجت حالته أمه كثيراً . كانت تطير أمامه وترفرف يحناحيها لكي تجعله يتعلم منها ، ولكن بدون فائدة ..

أصر ذلك الصغير اصراراً غريباً على البقاء في مهده ، واخيراً امتنعت الأم عن اطعامه ، كانت تحضر الطعام فوق متقارها ، ولكنها تقف خارج العش لكي يخرج .

وهناك أشخاص مثل هذا الطائر .. أطفال لا يريدون أن يشبوا عن الطوق . ولا يريدون ان يواجهوا متاعب الحياة ومشاكل النضوج ،

والعيب ليس في تشبثهم ، وإنما في أنفسهم ؟

وقفت لورا عن الكلام لحظة ، ثم عادت تقول :

- يجانب الأمهات اللاتي يجبن السيطرة على الأطفال ، هناك أيضاً الأطفال الذين يحبون أن تسيطر عليهم أمهاتهم .. هذا نوع من تأخر النضوج العاطفي ؟ أم أنه نقص في القدرة على النضوج ؟ النفس البشرية ما زالت غابة مليئة بالظلام والألغاز .

قالت آن التي لم تهتم بهذه العموميات :

- هل تعتقدين إلي أم تحب السيطرة على ابنتها ؟

- لقد كان رأيي دائماً أنك وسارة تتمتعان بعلاقة بمنازه ، وإن كلا منكما تحب الأخرى حباً صادقاً ، وإن كانت سارة في الحقيقة أصغر من سنها .

صاحت ان :

- أصغر من سنها ؟! إنني أعتقد دائماً إنها أكبر من سنها .

قالت لورا :

- لا .. لا .. إنني أشعر دائماً أنها أصغر من عمرها !

اعتذرت آن :

- ولكنها ذات شخصية مستقلة تماماً .. ولها رأيها الخاص في

كل شيء .

- هذا معناه أن لها رأي (المصير) الذي تمش فيه ، ولكن سوف

ينقضي زمن طويل قبل أن يكون لها رأيها الخاص في أي شيء ، يجانب ذلك ، فإن الجيل الجديد من الفتيات يبدو ذا شخصية مستقلة ، والسبب

في ذلك انهن يفتقدن الثقة في انفسهن حقا ..

إننا نعيش في زمن قلق ، ولا شيء يبدو ثابتا ، وذلك يؤثر على الجيل الجديد اكثر مما يؤثر علينا ، وذلك أيضا هو أساس كل المصائب والمتاعب والجرائم : الحاجة إلى الاطمئنان .. المنازل المتصدعة .. الحاجة إلى القيم الاخلاقية .. إن النبات الصغير يحتاج إلى سند قوي لكي يصبح شجرة باسقة .

ثم ابتسمت لورا فجاء وقالت :

- ها أنذا أتحول إلى واعظة مثل عجوز مخرفة ، هل تعلمين لماذا أشرب اللبن في كل وجباتي ؟

- لأنه مفيد صحيا !

- كلام فارغ .. بل لأنني أحبه .. يجب أن يفعل الانسان ما يحبه فقط .. اخبريني الآن ، هل ما يزال ذلك الرجل اللطيف جرانت يطاردك ؟

احمر وجه آن وضحكت ، ثم قالت :

- نحن اصدقاء قدامى !

- لقد عرض عليك الزواج اكثر من مرة ، اليس كذلك ؟

- نعم ، ولكن هذا كلام فارغ في الحقيقة ..

ثم ترددت لحظة وسألت صديقتها في استعجاء :

- لورا .. هل تفتقدين انه .. إنني يحسن أن ؟

لم تكمل الجملة ، ولكن لورا فهمت واجابت في الحال :

- فها يتماق بالزواج فإنه لا مجال للكلمة (يحسن) ، فالزواج المتعب

افضل من الوحدة ، مسكين جرائت هذا . أنا لا اعطف عليه ، ولكني فقط اعتقد ان رجلاً يمرض الزواج على امرأه مرارا وتكرارا ، ثم يستمر في اخلاصه لها ، هو رجل يحب القضايا الخاسره ..

من المؤكد انه كان يسعد كثيرا لو انه شارك في معركة (دنكوك) ولكن .. ما يناسبه حقا ، هو الاشتراك في (هجوم فرقة الخيالة الحفيفة) ؟

ما اكثر حبنا في انجلترا لعزائنا وخسائرها .. وما اشد شغلنا من انتصاراتنا ؟

الفصل الثاني

الوصيفة

- ١ -

عادت آن إلى منزلها لتجد وصيفتها المختلصة أدبث في حالة سخط ولاذمر ..

قالت لها أدبث وهي تظل برأسها من المطبخ :

- لقد أعددت لك شريحة ممتازة من اللحم للغداء ، وحساوى كريم كراميل أيضاً .

أجابتها آن :

- اسفة جداً يا أدبث ، لقد تناولت غذائي مع لورا ، ولكني أخبرتك بالتليفون إنني لن أحضر للغداء .

- كان ذلك بعد أن أعددت شريحة اللحم والكريم كراميل !

كانت أدبت امرأة مديدة القامة ، ذات وجه متجهج ، وفم متدمر
على الدوام ، ولكنها كانت ذات قلب من ذهب ، وكانت تحب أن وسادة
حباً لا مثيل له ..
قالت تونب آن :

- ليس من عادتك أن تتغذي فجأة خارج المنزل .. سارة هي التي
تفعل مثل هذه الأشياء لا أنت .. هل تعلمين إني وجدت القفاز الذي
قلبت الدنيا بحثاً عنه قبل سفرهما ؟ وجدته محشوراً خلف وسادة
الكنينة ؟

قالت آن وهي تتناول القفاز الحريري الجميل :
- وأأسفاه .. على العموم لقد سافرت سارة !
- لا شك إنها كانت سعيدة جداً بهذه الرحلة .
- طبعاً .. هي ورفيقاتها في المدرسة ، الجميع كن سعداء ..
- لا أظن إنها سوف تكون سعيدة في رحلة العودة .. هذا إذا لم
تعد على نقالة ؟

هتفت آن :

- رباه .. لا تقولي أشياء مثل هذه يا أدبت ؟
هزت أدبت كتفها وقالت :

- ولكن جبال سويسرا خطيرة جداً . إن المرء يكسر ذراعه أو
ساقه أثناء تسلقه هذه الجبال ، ثم يضع العضو المكسور تحت الجبس ،
وقد يصاب العضو بالغرغرينة بالرغم من الجبس ، ويكون الموت هو
النتيجة المحتومة ، ذلك فضلاً عن الرائحة البشعة التي تنبعث من تحت

الجيس ؟

ضحكت آن على الرغم منها وقالت :

- على كل حال دعينا نأمل ألا يحدث ذلك لسارة !

كانت آن متعودة على تنبؤات أدبث الخيفة ، التي تجد فيها أدبث متعة غريبة .

قالت أدبث وهي تتنهد :

- لن يكون المنزل هو نفس المنزل بدون سارة .. لن نتعرف على أنفسنا لشدة الهدوء .

- على كل حال سوف تجدين شيئاً من الراحة ؟

صاحت أدبث في كهرياء :

- الراحة ؟ وما حاجتي إلى الراحة ، إنني أفضل أن أبلى من التعب على أن اصداً من الراحة .. هذا ما تعلمته من أمي يرحمها الله ، وهذا ما أخذت به نفسي طوال حياتي .. إنني سوف انتميز فرصة سفر ابنتك وأقوم بعملية تنظيف للمنزل .. هذا المنزل محتاج لتنظيف شامل !

.. لا أشاطرك هذا الرأي ، يا عزيزتي أدبث .. فسالمنزل نظيف قاماً ..

.. هذا ما تحسبينه انت ، ولكني أعرف أكثر منك ! إنني اعرف ان جميع الستائر تحتاج إلى غسل وتنظيف ، وإن جميع ازرار الكهرياء تحتاج إلى تلميع . أوه .. هناك الف شيء وشيء يحتاج إلى تنظيف في هذا المنزل ؟

قالت ادبث هذا وعينهاا تلعمان مروراً بالتعب المرتقب .

قالت لها آن :

- استمعني بواحدة تساعدك !

ولكن ادبث صاحبت بصوت ارتجت له الجدران :

- أنا ؟ أنا استمعين بواحدة في عملي ؟ أنا لا آمن أي امرأة غريبة

تدخل هنا .. هناك اشياء ثمينة في هذا المنزل تحتاج إلى عناية حقيقية ،

ولولا انشغالي الدائم في المطبخ لأشرفت على العناية بها قبل سفر ابنتك ،

ولكن ها قد جاءت الفرصة ؟

- أنت تطبخين ببراءة يا عزيزتي ، وانت تعرفين ذلك ايضاً !

ارتسمت على وجه ادبث المتجهم ابتسامة خيلاء رغمًا عنها حاولت

اخفائها بالتعطيب ، قالت :

- آه الطهي .. لا براءة هناك في الواقع .. أنا لا أسمى الطهي

عملاً ..

وبهذه الجملة الختامية استدارت إلى المطبخ ، ولكنها سألت سيدتها

قبل ان تخفني :

- متى تريدن أن تتناولني الشاي ؟

- أوه .. ليس الآن .. بعد نصف ساعة .

قالت ادبث :

- إذا يحسن بك ان تخلمي حذاءك ، وتأخذي غفوة قصيرة قبل

الشاي ، فقمين بنشاط في المساء ، إن سفر ابنتك فرصة لك ايضاً ،

هيا سيري أمامي ؟

سارت أن وخلفها اديث حتى وصلت إلى غرفة الاستقبال ، وتقدمت
على كنبه وثيرة ، وخامت لها اديث حذاءها ، ووضعت وسادة فاحمة
تحت رأسها ..

قالت ان :

- إنك تماميليني كأنني طفلة يا عزيزتي !

- لقد كنت طفلة صغيرة عندما استخدمتني والدك لأول مره ،
ولا اعتقد أنك تغيرت كثيراً .. على فكره ، فقد طلبك الكولونيل
جيمس جرانت بالتليفون ليذكرك بأن موعدك معه هو الثامنة مساء في
مظعم (موجدرو) ، وقد قلت له أنك تذكرين الموعد جيداً ، ولكن
هذا طبع الرجال على أي حال .

- إنه شيء لطيف من جيمس ، انت تحاول التيسرية هي هذا
المساء .

قالت الوصيعة في امتعاض :

- لا اهتمام عندي على الكولونيل ، قد يكون مزعجاً وفظاً ،
ولكنه رجل مهذب (جنتلمان) .

ثم توقفت لحظة وازدادت :

- على العموم . قد تقعين فيمن هو اسوأ من الكولونيل جرانت
بمكتير !

هتفت آن :

- ماذا قلت يا اديث ؟

ولكن الوصيعة واجهتها بعين لا تطرف ..

قالت انه يوجد من هو اسوأ بكثير من الكولونيل جرانت .
أوه . اعتقد إننا لن نرى مستر جيبي كثيرا ، حيث ان ساره
ليست في المنزل ؟
قالت آن :

- انت لا تحبين جيبي يا ادبيث ، اليس كذلك ؟
- نعم ولا .. انه حقاً شاب جذاب ، وهذا شيء لا يمكن انكاره ،
ولكنه ليس شاباً جاداً .. فقد تزوجت اخي مسارلين رجلاً من هذا
النوع ، إنه لا يستقر في وظيفة واحدة اكثر من ستة اشهر ، ودائماً
يلقي باللوم على الغير ؟

ثم خرجت الوصيفة من الحجرة واكاليل الغار فوق رأسها ، اما آن
فإنها اغمضت عينيها واسارخت لتسريح قليلاً

جاءت من بعيد اصوات عربات السرام ، وكلاكسات السيارات في
الشارع ، ولكنها كانت خافتة كأنها موسيقى ناعمة ، وعلى المائدة القريبة
منها إثناء به باقة من الورد تنبعث منها رائحة ذكية تملأ الجو بالنعومة
والدعة .

وشعرت بالسلام والهدوء يحيطان بها ، سوف تفتقد ابنتها كثيراً ،
ولكنه أيضاً شيء ممتع ان تنفرد بنفسها بعض الوقت .

ما اغرب ذلك الرعب الذي اجتاحتها هذا الصباح .

وتسألت عند ذلك عن نوع السهرة التي سوف تضيئها مع صديقها القديم
كولونيل جيمس جرانت .

ومرغان ما راحت في سبات عميق .

- ٢ -

كان مطعم (موجدور) من المطاعم القليلة التي لا زالت تحتفظ بطابع الأيام الحالية ، وتتميز بالأطعمة الممتازة والخبز المتميز ، وقوسي لروادها بذلك الجو الوديع من التآني والموسيقى الهادئة .

وصلت آن إلى المطعم لتجد الكولونيل جالساً ينتظرها في بار المطعم وعلى ملامحه دلائل القلق والاهلة ..

امرح يحيتها في سرور صادق ، ويتأمل بإعجاب ثوبها الأسود المعشتم وعقد الأوا الذي يحيط برقبتها ، قال :

- آن .. ما قد وصلت ، من البديع حقاً ان تكون المرأة جميلة ومواظبة على المواعيد ايضاً !

ابتسمت واجابت :

- لقد تأخرت ثلاث دقائق فقط لا أكثر ؟

كان الكولونيل جرائت رجلاً طويل القامة متناسق الأعضاء ، وله حركات رجال الجيش المنتظمة ، ويكفل رأسه شعر رمادي حليق .. نظر إلى ساعته وقال :

- لماذا لم يحضر الباكون حتى الآن ؟ إن مائدتنا سوف تكون جاهزة في الثامنة والنصف ، ولكن دعينا نتناول مشروباً أولاً .. ماذا

تشرين ؟ شعري ؟ انك تفضلينه عن الكوكتيل ، اليس كذلك ؟

- نعم .. من هم الباقون ؟

- آل سينجهام ، هل تعرفينهم ؟

- طبعاً !

- وايضاً جيليفر جرام ، انها ابنة عمي ، ولا ادري ما اذا كنت

قد قابلتها من قبل أم لا ؟

- لقد قابلتها مرة معك !

- وهناك ايضاً ريتشارد كولدفيلد .. فقد قابلته مصادفة بالأمس ،

بعد فراق دام سنوات ، فقد أمضى معظم سنوات عمره في بورما ، وهو

يشعر الآن بفيرة لوجوده في إنجلترا بعد كل هذه السنوات ؟

- نعم .. اعتقد اني افهم شعوره .

- انه شخص لطيف ، وقد مر بمأساة قاسية في الماضي ، فقد

توفيت زوجته وهي تضع مولودها الأول .. كان يعيدها ولم يستطع

البقاء في إنجلترا بدونها .. ولم يستطع ان ينساها ، ولذلك ذهب

الى بورما .

- وماذا جرى للطفل ؟

- مات أثناء ولادته !

اجابت ان في أسف :

- يا لها من مأساة ؟

- اه .. ها قد اقبل آل ماسينجهام ..

كانت مسز ماسينجهام امرأة جافة العود ، وكانت بشرتها مليئة

بالبنور التي اكتسبتها أثناء وجودها في الهند .
 وكان مسر ماسينجهام رجلاً قصير القامة ، لا يكاد المرء يشعر بوجوده
 إلا إذا تكلم .

قالت مسر ماسينجهام وهي تصافح آن بجرارة :
 ... ما أسمعني برويتك من جديد يا عزيزتي .. ما أبدع فستانك ..
 أعتقد إنني أسيء دائماً اختيار الفساتين التي أرتديها في المساء ..
 وهذا هو رأي جميع أصدقائي أيضاً .. ولكنني اعتقد أن الطبيعة
 غموماً أصبحت كئيبة وخالية من البهجة .. في الحقيقة ، لا أظن
 إنني وزوجي سوف نبقى في إنجلترا إننا نفكر في الرحيل إلى
 كينيا ؟

وأضاف مسر ماسينجهام :
 - كثيرون جداً يفكرون في الهجرة خارج إنجلترا ، والحكومة هي
 السبب !

قال كولونيل جرانت :
 - ها هي جنيفر قد حضرت ومعها كولدفيلد

كانت جنيفر في الخامسة والثلاثين من عمرها ، لها وجه مثل وجه
 الحصان ، ومن عاداتها أن تضعك بصوت يشبه الصهيل ..
 أما ريتشارد كولدفيلد ، فقد كان رجلاً في منتصف العمر ، وله بشرة
 لوحتها الشمس ..

جلس الجميع حول مائدة في البسار .. وجاءت جلسة آن ييجوار
 ريتشارد كولدفيلد ..

وشرعت آن من باب اللياقة تجاذبه الحديث ..

هل مضى عليه وقت طويل في المجلّتا ؟

ما هو رأيه في المجلّتا بعد غيبته الطويلة عنها ؟

وأجابها بأن الأمر كان صعباً في البداية ، وأن كل شيء قد تغير عما كان يعرفه عليه قبل الحرب .. ثم أضاف بأنه يبحث عن وظيفة ، وإن كان المشور على وظيفة ليس سهلاً بالنسبة لرجل في سنه .

قالت آن :

— هذا شيء مزعج ، وهذا خطأ أيضاً ؟

ابتسم ريتشارد وقال :

— إنني لم أبلغ الخمسين بعد ، وعندي قوّة لا بأس بها ، وإذا لم أوفّق إلى وظيفة فإنني قد اشتري مزرعة في الريف وأعمل في زراعة الخضروات وتجارة الدواجن ؟

صاحت آن :

— كل شيء إلا الدواجن .. عندي أصدقاء كثيرون جربوا الدواجن ثم انصرفوا عنها ، يبدو أن الدواجن تتعرض للأمراض دائماً .
— لعلي إذاً اكتفي بزراعة الخضروات ، لن أكسب منها كثيراً ، وإنما سوف أقضي حياة سعيدة !

— الحقيقة أنه من الصعب أن يعرف الإنسان ماذا يريد من هذه الحياة ؟

— هذا لا يزعجني البتة ، إنني أعرف أنه ما دام الرجل يمتلك الثقة

في نفسه والارادة ، فإن المشاكل تذوب أمام عزمته ..

قالت آن وهي غير مقتنعة :

- من يدري ؟

قال في حرارة :

- أؤكد لك ما أقول .. اني اكره ذلك النوع من الناس الذي يضي
عمره شاكياً باكياً ، ملوحاً أمام الدنيا كلها بسوء حظه في الحياة .

قالت ان وقد شاركته حماسه :

- أوه . في هذا أوافقك ..

رفع حاجبيه دهشة من حماسها المفاجيء ، ثم قال :

- يبدو أن لك تجربة مماثلة !

تنهدت وأجابت :

-- طبعاً .. إلي أعرف شاباً من هذا النوع .. انه صديق لابنتي ،
وهو لا يجد ثنا عن شيء إلا عن فشله في الحياة .. في البداية كنت أعطف
عليه ، وأخيراً امتلأت منه مللاً وضجراً ، وصرت أعير شكواه
أذناً صماء ؟

هتفت السز ماسينجهام عبر المائدة :

- ان الشكوى من سوء الحظ شيء مل كثيرأ .

سألها كولونيل جرانت :

- من تقصدين بكلامك هذا ؟ جيرالد ليولد ؟ انه لن ينجح في

شيء قط ؟

قال ريتشارد كولدفيلد في هدوء :

- اذن فلك ابنة ، ولا بد أنها شابة ما دام لها صديق شاب .

قالت آن يتمهل :

- أوه .. نعم .. ابنتي في التاسعة عشر ..

- هل تحبينها كثيراً ؟

- طبعاً !!

ارتسمت على وجهه علامات ألم .. وتذكرت آن مأساته التي حدثها
عنها كولونيل جرانث .. شعرت بأنه رجل وحيد في هذه الدنيا .

قال لها بصوت منخفض :

- من يراك لا يتصور ان شابة مثلك لها ابنة شابة .

ضحككت وقالت :

- هذه هي الجمالة المعهودة التي يقولها الناس لامرأة في مثل

سنني ؟

- ربما ، ولكنني عنيت ما قلت .. هل زوجك ؟

تردد لحظة ، ثم قال :

- نسيت ؟

- نعم .. قربي منذ عهد بعيد !

- لماذا لم تتزوجي بعده ؟

كان سؤالاً خالياً من الكياسة ، ولكن الاهتمام الصادق البادي
على وجهه ، جعلها تشعر بأنه شخص بسيط ، وأنه حقاً يريد أن
يعرف السبب .. أجابت :

- أوه .. ذلك بسبب ..

ثم توقفت لحظة ، ثم عاودت الحديث في حراره واخلاص :
- لقد كنت أحب زوجي حبا عظيما ، وعندما مات لم أحب احدا
بعده قط .. وهناك ابنتي ايضا .

قال كولدفيلد :

- نعم .. هذا حقا ما يحدث مع امرأة من طرازك .
نض كولونيل جرانت واقترح على الجميع أن ينتقلوا إلى صالة
الطعام ..

وجاءت جلسة أن هذه المرة بين كولونيل جرانت وبين مستر ماسينجهام
ولم تتيح لها فرصة حديث جديد مع ريتشارد كولدفيلد الذي انخرط في
حديث مع جينيفر غراهام ..

مس كولونيل جرانت لأن :

- أعتقد أن كولدفيلد وجينيفر يصلحان زوجا وزوجة ، انه يحتاج الى
زوجة كما تعرفين ؟

ورغما عنها شعرت أن ان هذه الفكرة تضايقها .
جينيفر جرام التي تشبه الحصان ، وتتحدث بصوت كالرعد لا تصلح
قط زوجة لشخص مثل ريتشارد كولدفيلد ؟

ولكنها اخفت ضيقها منظارا بانها كما في تناول طعامها ..
سألها جرانت :

- هل سافرت ابنتك هذا الصباح ؟

— نعم يا جيمس .. وأرجو ان تتمتع بوقت سعيد فوق تلوج
سويسرا !

— انا واثق انها سوف تقضي وقتنا رائعا .. على فكرة هل صعبها ذلك
الشاب جيرالد ليولد في الرحلة ؟

— لا .. فقد ذهب الى مزرعة عمه !

— حمداً لله .. لقد كانت براعة منك يا آن ان تباعدي بينها !

— ليس ذلك شيئاً سهلاً دائماً .

— على كل حال لن تراه لمدة ثلاثة اسابيع ، فدهينا نأمل ان تتعلق
بشباب غيره اثناء الرحلة ؟

قالت آن :

— ان ابنتي ما زال صغيرة جداً يا جيمس ، ولا اعتقد ان علاقتها
مع جيرالي ليولد كانت علاقة جادة على اي حال .

قال جرانت :

— جائز .. ولكنها كانت مهتمة به جداً طول الوقت .

ابتسمت في حنان وقالت :

— هذه هي طبيعة ابنتي العزيزة .. انها تهتم بكل من تحب ..
تتصور انها تعرض الصالح لأصدقائها خيراً منهم ، وتفرض عليهم ان
يقوموا به .

— انها طرفة ظريفة حقاً ، وجميلة ايضاً ، ولكنها لن تكون قط جميلة
مثلك يا آن ، ولا وديعة مثلك .. انها من الجيل الجديد .. الجيل
الصلب .

قالت آن وهي تبسم :

— لا أعتقد ان سارة صلبة جدا مثل باقي افراد جيلها ا
— كم اتقى لو ان فتيات هذا الجيل حاولن ان يتعلمن شيئا من جاذبية
أمهاتهن ..

كان جرائنت ينظر اليها في شغف ، وفكرت في نفسها :
— جيمس العزيز .. كم هو لطيف معي .. انه يتصور اني امرأة
مثالية .. هل انا حقاً اذ يتصور اني امرأة مثالية ..
هل انا حقاً اذ ارفض عرضه للزواج ؟ ارفض ذلك الحب والتقدير
والشغف ؟

وفجأة وقع ما يعترض سير هذه المشاعر الرقيقة ..
بدأ الكولونيل يقص حكاية زوجة المهرجا ، الذي كان صديقا
له في الهند .

قصة سمعتها ثلاث مرات من قبل ا
تبددت المشاعر الرقيقة وانصرف خواطرها عن الكولونيل وانشغلت
بتأمل ريتشارد كولدفيلد ..
انه يبدو واثقا من نفسه اكثر مما ينبغي ، ام ان هذه الثقة هي سلاحه
في مواجهة عالم غريب عنه ؟

كان وجهه وجها حزينا حقا — وجها وحيدا ا
ولكن له بعض المزايا ايضا .. انه يبدو عطوفا امينا صادقا نزيها ،
عنيذاً ربما ومتعصبا احيانا ، ولكن في نفس الوقت تدهر خلاله الطيبة

إذا رواها الحب الصادق ..

وقطع عليها خواطرها صوت الكولونيل غرانت وهو يصيح :
- وهل تصدقون السبب .. لقد كان السائنس يعرف الحقيقة

من البداية ..

عادت آن الى اللحظة الحاضرة فيما يشبه الصدمة وشاركت السامعين
في الضحك المناسب لقصة زوجة المهرجا الهندي ؟

الفصل الثالث

الحلم

- ١ -

ففتحت آن عينيها في الصباح التالي وللوهة الأولى لم تعرف أين هي .. هذه النافذة كان يجب ان تكون ناحية اليمين لا ناحية اليسار ، والبواب ايضا ليس في مكانه ، ودولاب الملابس .. كل شيء ليس في مكانه المعتاد .. لماذا ؟

وعند ذلك تنبهت حواسها وأدركت أنها كانت تحلم .. كانت تحلم بأنها عادت شابة صغيرة في منزل أمرتها في أبيلستريم ..

لقد عادت إلى المنزل وهي في حالة شديدة من الانفعال ، فقابلتها أمها وقابلتها أديث (الشابة) . فقد دارت حول المنزل تتفقد الحديقة ،

وتتأمل الزهور ، ثم دخلت المنزل .
كان كل شيء كمهدا به ، الصالة خافتة الضوء ، وحجرة الاستقبال
الملحقة بها ..

وعند ذلك فاجأتها أمها بأن قالت :
— سوف نشرب الشاي هنا اليوم ..
ثم قادتها من يدها إلى غرفة لم ترها من قبل .. غرفة أنيقة وضيئة
ملبشة بالزهور والستائر ، ذات الألوان الجذابة !
ثم قال لها صوت :

— لم تكوئي تعلمين من قبل بوجود هذه الحجرات .. اليس كذلك ؟
فقد وجدناها في العام الماضي ..
ورأت حقاً حجرات كثيرة جديدة ، وسلام مودية إلى حجرات أكثر
في الدور الأعلى ، كان شيئاً رائعاً ومثيراً .

وحق بعد امتيقاظها كانت آن لا تزال تحت تأثير ذلك الحلم .
كانت آن (الشابة) التي تواجه الحياة بقلب الفتاة ذات الخمسة عشر
ربيعاً ، هذه الحجرات المجهولة .. تصور أنها لم تعرف بوجودها طيلة هذه
السنوات .. متى تم العثور عليها ؟ حديثاً ؟ أم منذ سنوات ؟

وشيثاً فشيئاً بدأت البقطة تبدد تأثير ذلك الحلم وتحو ذكرياته .
لقد كان حلماً سعيداً ، ولكنه ترك في نفسها الآن ما يشبه الوهة
والآسى .. الانسان لا يمكن أن يعود إلى الماضي ، ولكن ما أغرب
تأثير ذلك الحلم عن منزل به حجرات مجهولة ..

فقد شعرت آن بحزن حقيقي ، لأن هذه الحجرات لم تكن قط
شيئا واقعيا !

ظلت آن مستلقية في فراشها وهي تراقب الضوء المتسرب من ستائر
النافذة وهو يزداد وضوحا .. لا بد أن الوقت متأخر ، التاسعة صباحا
على الأقل . إن الصباح الباكر ليس له ذلك الضوء القوي في المجلاترا ،
أما سارة فإنها سوف تستيقظ في سويسرا كي تطالع الشمس الساطعة
والثلوج البيضاء !

سارة .. من الغريب ان آن لا تشعر بها بوضوح الآن .. إنها في مكان
بعيد .. في مكان غير واضح .

أما الذي كان واقعيا ، فمر ذلك المنزل في أبلستريم ، والحجرات
الجهولة ، والزهور والستائر الجميلة و .. أمها ا واديت ايضا تقف
في خشوع ، ووجهها لا يزال شابا ، لم رسم عليه بعد علامات التجهم
والتدمير .

ابتسمت آن ثم نادى :

-- ادبث !

دخلت أدبث الحجرة وأزاحت الستائر ثم قالت :

-- حسنا .. لقد نمت جيدا هذه الليلة ، لم يكن في نيتي إيقاظك ، إنه
ليس يوما جميلا على أي حال ، هناك ضباب في الأفق .

كانت السماء خلف النافذة تبدو رمادية مكفهرة ، ولكن احساسها
بالسعادة والدعة لم يتأثر ، ظلت مستلقية وهي تبسم .

قالت ادبث :

- افطارك جاهز ، سوف احضره لك ؟

ثم نظرت إلى سيدتها وقالت :

- انت تبدين سميدة هذا الصباح ، لا بد انك امضيت سهرة جميلة بالأمس !

قالت آن في دهشة :

- بالأمس ؟ أوه .. نعم كانت سهرة بديعة جدا ، اسمعي يا أديث ، هل تعلمين اني رأيت نفسي في المنام في منزلنا القديم ؟ ورأيتك أيضا وكان الوقت صيفا ، وكان في المنزل سمجرات جديدة لم ارها من قبل !

- الحمد لله اني لم ارها أيضا ، فقد كان بالمنزل من السمجرات ما يكفي ، ذلك المطبخ الشاسع .. رباه كلما تذكرت تلك الكييات من الفحم التي كنا نستعملها ، من حسن الحظ أن الفحم كان رخيصا عندئذ !
- لقد كنت ما تزالين شابة يا أديث ، وأنا أيضا .

قلبت الوصيفة شفتيها امتعاضا وقالت :

- نحن لا نستطيع أن نعود بالزمن الى وراء اليس كذلك ؟ فقد مات ذلك الماضي وقبر واندثر .

قالت آن في نومة :

- نعم ، مات وقبر واندثر ؟

- طي العموم فأنا لست حزينة لانقضاء الشباب ، ليس هندي مسا أشكو منه ، صحتي جيدة وقوتي ممتازة ، ولو انهم يقولون ان خريف العمر ، هو الفترة التي تبدأ الأمراض فيها تهاجم الانسان من الداخل .
- انا واثقة انك مريضة بأي مرض يا أديث .

- وما ادراك ؟ هذا شيء لا تعرفينه إلا بعد ان تسقطي صريخة
المرح ، ويحملونك الى المستشفى ويمزقونك اربا اربا وعندئذ سوف تتأكدين
أنك مريضة بعد فوات الأوان .

وبهذه الجملة (المتفائلة) غادرت الخادمة الحجره .
وبعد دقائق عادت وهي تحمل الافطار قائلة :
- ما هو الافطار ، اعتدلي قليلا حتى أضع وسادة خلف ظهرك لتتمكني
من الأكل في السرير ؟

قالت آن وهي تنفذ تعليمات خادمتها المختصة :
- ما أشد حنانك هلي . .
اجهر وجه الوصيقة المتجهيم وتمتمت :
- اني احب أن يكون كل شيء دقيقا ، هذا كل ما هنالك ، وعلى
العموم فأنت محتاجة دائما لمن يرعى شؤونك . . فأنت لست سيدة صلبة
العمود . . لست مثل صديقتك لورا التي لا يقوى البابا نفسه على الوقوف
في وجهها ؟

قالت آن وهي تحتسي قهوتها :
- ان لورا شخصية عظيمة . .
- اعرف ذلك . . فقد سمعتها كثيرا تتحدث في الراديو ، ان صوتها
وسده يدل على انها امرأة عظيمة . . ومظهرها ايضا . . وقد سمعت ايضا
انها نجحت في أن تمار على زوج في وقت ما ، كيف انفصلا ؟ هل كان
السبب هو الموت ام الطلاق ؟

- الموت . . فقد مات زوجها ا

... ذلك من حسن حظي ، واني الحق .. انها ليست من النوع الذي
يجري اي رجل على ان يحيا معها مدى الحياة .. ولو ان هناك
رجالا يحبون ان تكون زوجاتهم من الميسرات على شؤون
حياتهم ..

ثم اتجهت نحو الباب وهي تقول :
- والآن تناولي افطارك على مهل وتمتعي بالكسل والاسترخاء في
السريـر وحلقـي مع افكارك السعيدة في هذه العطلة ؟



ابتسمت وتمتعت لنفسها :

- عطلة ؟ هل هذا ما تطلعه عليها اديث ؟ ومع ذلك فإن هذا كان
شعورها بشكل ما .. اثناء وجود ابنتها كان هناك دائما قلق ما يسيطر
على عقلها الباطن .. كانت تجد نفسها امام عشرات الاسئلة : « هل ابنتها
سعيدة ؟ » ، « هل يحبها أصدقائها ؟ » ، « هل ضايقها احد في سهره
الأمس ؟ »

انها لم تتدخل قط في شؤون ابنتها ، لم تكن ابنتها لتسمح بذلك على
أي حال .. لم توجه أي اسئلة .. كانت تؤمن بأن ابنتها يجب ان
تعلم كل شيء بنفسها .. ولكن سببا كان يحبطها دائما بذلك القلق
عليها ..

وكان عليها أيضا ان تكون في حالة استعداد في اي لحظة تقصدها

فيها. ابنتها طلباً لمساعدتها الأدبية والنفسية .

كانت تحدث نفسها أحياناً : يجب أن اتوقع أن يحدث مكروه لابنتي ، ولكفي لن أتدخل إلا إذا شعرت بأنها في حاجة الي .. لن أشمر قط بسيطرتي أو بتدخلتي في شؤونها .

ثم حدث المكروه .. ذلك الشاب المزعج جيري ليولد الذي نجح في أن يحظى بكل اهتمام ابنتها .

عشنا حاولت أن تفصل بينها .. والآن .. ها هي ابنتها بعيدة عن ذلك الكابوس الحبي .. ومن المؤكد أنها ستقابل شاباً افضل منه ألف مرة ..

وما دامت ابنتها في سويسرا ، فإنها تستطيع أن تطرد من ذهنها كل هذه الأفكار المتشائمة التي مصدرها جيري ليولد .. تستطيع أن تتمرغ تحت هذه الأغطية الحبرية ، وتفكر فيما تفعله اليوم ! فقد سعدت حقاً بسهرة الأمس ..

جيمس غرائت العزيز .. ما الطفله بالرغم من قصصه المملة .. يا لها من قصص قافله سخيفة ..

يجب على الشخص عندما يبلغ الخامسة والأربعين من عمره ان يكف عن إلقاء هذه القصص السخيفة .. ألا يشعر المسكين بالضجر يحتاج سامعيه عندما يبدأ كلامه : « ألم أخبركم بهذه القصة الغريبة التي حدثت لي ؟ » ، وهكذا وهكذا !

ومن الممكن جداً أن يرد احد سامعيه بل أخبرتنا بها من قبل يا جيمس ثلاث مرات على الأقل !

من المؤكد أن جيمس سوف ينجح عند ذلك . لا ، قسوة .. لا يجب أن يواجهه أحد بمثل هذا الرد ؟

وذلك الشخص الآخر رينشارد كولدفيلد ، إنه أصغر من جيمس ، ولكن (مع تقدم العمر) ، يكتسب أيضاً تلك المادة المقيتة في القاء قصص لا تنتهي .

ولكن آن لم تتصور أن كولدفيلد قد يصبح مثل غرانت ، إنه قد يتطور إلى انسان انطوائي ، انسان مليء بالمرارة والتعصب ، قد يتصرف تصرفات غير معقولة أحياناً ، ولكنه عموماً شخص لطيف ، انه شخص وحيد .. وحيد جداً .. انه ضائع بفردته في تلك القسابة الهائلة التي اسمها لندن .

ترى اي وظيفة سوف يحصل عليها ؟

ليس من السهل الحصول على وظيفة هذه الأيام .. له سيئته إلى شراء تلك المزرعة في الريف ، وإلى الاتجار في الخضراوات .

ترى هل ستقابله مرة ثانية ؟ هل تدعو جيمس الى العشاء يوماً ، ثم تلح له أن يدعو كولدفيلد ؟

انها تشعر بأن ذلك سوف يخفف من شعوره بالوحدة ، ما افطن هذه الضوضاء التي تحدثها أديث .. كأنها جيش كامل يحلوا بكل معداته من ميدان القتال ، ومع ذلك فإن هذه الضوضاء الخفيفة هي الدليل على ان أديث في أقصى حالات اللشوة .

بعد لحظات فتحت أديث الباب ودخلت ورأسها معصوب بمنديل ، وعلى وجهها تلك العلامات التي تكون على وجه كاهنة تقوم بطقوس

وثنية خفيفة قاتلة :

- اتناولي طعامك في الخارج ، اليس كذلك ؟ فقد أخطأت بخصوص الضباب ، إنه يوم مشمس ، وإذا أحببت فإنك تستطيعين الخروج والتنزه وتناول الغذاء في مطعم ، وسوف انتهمز أنا هذه الفرحة للاقيام بتنظيف شامل للمنزل .

ضحكت آن وقالت :

- حسناً يا إديث ، سوف اخرج ، ولكن ارجوك الا تقتلي نفسك من شدة العمل ، ولم لا تستمينين بامرأة أخرى ؟ مسز جوهر مثلاً .
- مسز جوهر ؟ هل تظنين إنني أسمح لها بالدخول هنا مرة أخرى ؟
هل تظنين بأني أترك تلك المرأة الحاملة تنظف الفضيات والزجاج والأدوات المعدنية ، والآن استعدي للخروج لأنني أريد أن أبدأ بتنظيف السجاجيد ..

- هل أستطيع ان اعود في المساء ، أم تفضلين أن أقضي الليلة في فندق ؟

ولكن إديث لم تضحك ، وقالت :

.. لا مزاح من فضلك .. على فكرة هذه الطاسة التي اشتريتها لي بالأسس ليست جيدة .. إنها كبيرة ويصعب قلبها أي شيء فيها ، أنا أريد طاسة مثل القديمة .

.. ولكنهم كفوا عن انتاج ذلك النوع ..

ردت إديث في ازدراء :

- هذه الحكومة .. إلى أين يريدون ان يصلوا بنا ، على العموم لا

تلمي شراء طقم (السوفليه) الصيني .

– أعتقد اني سوف اعثر عليه .

– هذا شيء يشغل وقتك على أي حال !

– من يسمعك تحدثيني هكذا يا أدبث يتصور انني طفلة صغيرة ،

وانك قلبيتي بلعبة أو بنزهة ؟

ابتسم وجه الوصيصة المتجهم وقالت :

– لعل السر انك في غيابة ابنتك تبدين أصغر بكثير ، وعلى العموم

فسوف أحدثك بالطريقة التي تمحبك ؟

واعتذلت في وقفنتها وقالت بلهجة احترام :

– إذا وجدت نفسك يا سيدتي قريبة من (مخازن الجيش والأسطول)

فأرجو أن ..

– حسناً .. سأحضر لك طقم (السوفليه) .

الصحبت الخادمة من الفرقة لتبدأ هجومها المرتقب على الآلات والسجاجيد

وشرعت أن تستعد للخروج .. وسرعان ما تراسى إليها صوت الوصيصة

وهي تغني في صوت أشبه بالولولة والنهيب .

أين من عيني هاتيك الدماء

تملأ الدنيا بالأم البلاء

وسماء اختفى منها الضياء

طار فيها الجن ومصاصو الدماء !

- ٢ -

أخذت آن تمشي الحرينا في (مخازن الجيش والأسطول) ، وهي تتطلع إلى مئات الأصناف من الصحاف الصيفية والأدوات المصدنية . لم تكن كل الأصناف للبيع ، كان بعضها (معد للتصدير) ، وكانت هذه الأصناف أجمل ألف مرة من الأصناف المعروضة للبيع ..

ولكن احساسها بالحرم من هذه الأدوات الجميلة ، لم يمنحها من الاعجاب بقدرة المصانع على انتاج هذه الأدوات البالغة حد الروعة من الجمال والاتقان ..

وعثرت آن أثناء تجوالها على طبق صيفي جميل للسوفلية ، وكان اخر واحد من نوعه ، فاشترته في الحال ..
وفي نفس اللحظة صاحبت امرأة :

- سوف أشترى هذا الطبق .

ولكن البائعة أجابت :

- اسفة ياسيدي ، فقد بيع في التو ؟

ردت ان مجامة للمرأة :

- أنا اسفة جداً !

ثم سارت وهي سعيدة بتوفيقها في العثور على شيء سوف ترضى

عنه أدبت ا

حلت مشاربتها ، ثم دخلت إلى قسم (الأدوات الزراعية) ، كانت
ترجو أن تمار على بعض الأصص لفرقة الاستقبال .

كانت تتكلم مع البائع عندما جاءها صوت من خلفها يقول :
- صباح الخير يا مسز برنتيس .

استدارت لتجد ريتشارد كولدفيلد واقفاً ينظر إليها وعلى وجهه سرور
كسرور الطفل ا

احمر وجهها دون أن تشعر ، ولكنه بإدراها قائلاً :

- ما أجل أن أقابلك صدفة هكذا .. لقد كنت افكر فيك لتوي ،
فقد لمت نفسي لأي لم أسألك عنوانك لية الأمس ، ولم استأذنك في أن
أزورك ، والواقع إن ما منعتني من ذلك هو خوفاً من أن تحسبيني متطفلاً ،
لا شك أن لك العديد من الأصدقاء .. و ا .

قاطعته مسز برنتيس قائلة :

- سوف أكون سعيدة بمشورتك إذا زرتني .. أنا أيضاً كنت افكر
في الاتصال بالكولونيل جونسون لطلب منه أن يدعوكم لزيارتي ..

هتف ريتشارد في ذهول :

International Organization of the Alexandria Library (O.I.A.L.)
Bibliothèque d'Alexandrie

- حقاً ؟ حقاً ؟

يا للسكين .. لا بد أنه يشعر بوحدة قائلة .. وهذه الابتسامة السعيدة

على وجهه البسيط تؤكد ذلك ا

- لقد كنت اشترى بعض الأصص لحجرة الاستقبال .. ولكن ماذا

تفعل أنت هنا ؟

-- لقد كنت أذفحص أفضاص الدجاج .

-- اما تزال تفكر في تربية الدواجن ؟

-- لم أصل إلى قرار بعد .

سار الاثنان نحو باب الخروج ، و فجأة سأها كولدفيد :

-- ترى هل في امكاني أن أدهوك لتناول الغذاء معي ؟ هذا إذا كنت

غير مرتبطة بموعد سابق طبعاً !

ضحكت ان وردت ببساطة :

-- لست مرتبطة ويسعدني كثيراً ان أقبل دعوتك ، والواقع إنني

ممنوعة من العودة إلى منزلي طوال اليوم .

قال في دهشة :

-- ممنوعة ؟

-- نعم .. إن خادمتي تنظف المنزل اليوم بمناسبة فصل الربيع ، وقد

منعتني منعاً باتاً من العودة قبل المساء ؟

قال في سذاجة :

- وكيف تسمحين لها أن تعاملبك هكذا ؟

-- اوه .. إن أدبت خادمتي وصديقتي .. إنها معي منذ وقت

كنت طفلة ..

-- أه .. هكذا !

ولكنه في الحقيقة شعربطف على هذه المرأة الحسناء التي تتعرض

لطغيان وديكتاتورية خادمتها .. يا لها من امرأة وديعة مسالة قال :

الكلمة الأخيرة في الفن .. اعتقد انه يجب على الانسان ان يتعلم الا
يرفض المقاييس الجديدة في الفن .. الفن الحديث له قيمه الحديثه ، مثله
في ذلك مثل الموسيقى الحديثه !

صاح ريتشارد :

- الموسيقى الحديثه ؟ هل تسمين هذا الهوس موسيقى !

وقفت مس برنتيس في سيرها قائلة :

- مستر كولفيلد ، ألا ترى أنك ضيق الأفق ..

نظر إليها بحدة ، فاحمر وجهها ، ولكنها استمرت تنظر اليه في ثبات .

- هل أنا ضيق الأفق حقاً ؟ ربما ولكن بالحقيقة إني أشعر بصدمة

أمام كل شيء أراه فقد تغير كل شيء مما كان عليه قبل سقري
إلى الجملة .

ثم ابتسم وقال :

- إني أعتد عليك في توجيهي وإرشادي ؟

ردت برنتيس بسرعة :

- أوه . أخشى إني أيضاً دقة قديمة ، إن إبنتي تسخر من إرائي

كثيراً ، ولكنني أشعر أنه من الظلم ان يفلق الانسان عقله .. مع

تقدمه في السن ، من ناحية ، لأنه سوف يصبح شخصاً مزعجاً للمحيطين

به ، ومن ناحية أخرى ، لأنه قد يفقد الواناً من الجمال لا يعرفها .

سار ريتشارد يحوارها صامتاً لحظة ثم قال :

- أنا لا أوافقك في حديثك عن نفسك على أنك امرأة متقدمة في

السن ، أنت أصغر امرأة رأيته منذ فترة طويلة ، بل أنت أصغر بكثير

من فتيات هذا الجيل الصاخبات ، هؤلاء الفتيات يخفنني .
لم ترد برنتيس بشيء ، كانت الشمس دافئة والجو بديعا ، وكانت
تشمع بألفة عجيبة نحو هذا الشخص القريب .
وقف الاثنان امام نافورة مياه وأخذوا يرقبان الطيور المسائية وهي
تسبح في الماء بغبطة .

كان ريتشارد شخصا اليفا وديعا ، وتحدث الاثنان وضعكا ، وشعر كل
منهما بأنه لا غنى له عن الآخر .

قال ريتشارد :

— بكل سرور !

ثم جلس الاثنان يتطلعا إلى النافورة وإلى الوان قوس قزح التي
تنخلل رذاذ الماء .

قالت برنتيس :

.. ما اجل لندن ؟

— نعم .. المرة لا يكتشف ذلك إلا إذا ابتعد عن الزحام والناس
وضجيج السيارات ، فقد كانت زوجتي تقول ان لندن هي المكان الوحيد
الذي يظهر فيه الربيع في أبهى صورة له . كانت تقول ان الزهور
والأشجار تبدو أكثر جمالا عندما تكون خلفيتها هي المباني والمهارات
بعكس الربف الذي يبدو فيه كل شيء خليطا من الحفرة
والألوان .

— أعتقد انها كانت على صواب .. أنا اوافقها على وجهة نظرها !

قال ريتشارد ، دون ان ينظر إلى آن :

- لقد ماتت منذ زمن بعيد .

ردت بلطف :

... أعرف ذلك ، فقد أخبرني به الكولونيل جرانت ا

استدار ريتشارد ونظر إليها متفحفا ، وسألها :

- هل أخبرك كيف ماتت ؟

ترددت مسز برنتيس لحظة ، ثم قالت :

- نعم .

تمهد ريتشارد وقال :

... لا أعتقد أنني سوف أنسى ذلك قط .. انا اقصور دائما إلى السبب

في موتها ا

ردت مسز برنتيس :

... انا أفهم شعورك ، ولو كنت مكانك لشعرت بنفس الشيء ، ولكنه

شعور خطأ طبيعا ، اليس كذلك ؟

... لا .. ليس شعور خطأ .

... إنني احدقك من وجهة نظري كإمرأة .. كل امرأة تحب ان

تحمل ، وان تلك مهم كانت الخطورة التي تتعرض لها .. كل امرأة تشعر

بأنها لا تصبح كاملة إلا اذا صارت أمسا .. ألم تكن زوجتك ترغب

في الطفل ؟

- أوه .. نعم ، فقد كانت سعيدة بحملها كثيراً ، وانا ايضا ..

كانت امرأة سليمة النية ، ولم يكن هنساك مجال للتفكير في ان اي

شيء قد يحدث ؟

حلت فآرة صحت .

قالت بعدها برنتيس باخلاص :

- انا اسفة من اعمالي ا

قال ريتشارد :

- لقد حدث ذلك كله منذ زمن بعيد .

- لقد مات الطفل ايضا ، اليس كذلك ؟

- نعم .. الحق اني اكاد اشعر بالامتنان لوفاته .. لو انه

عاش لكرهته .. سكنت اقصور دائما ان امه دفعت حياتها ثمنا

لحياته ا

ودت مسز برنتيس :

- حدثني عن زوجتك ا

شرح ريتشارد يخبرها عن زوجته ايلين ..

حدثها عن جمالها ومرحها ، ثم عن نوبات الصمت التي كانت تعاودها

فجأة ..

ثم توقف ريتشارد عن الحديث وقال :

- اني لم اتحدث عن زوجتي الى احد من قبل .

- استمر .. لا تتوقف ا

تنهد ريتشارد وعاد الى الحديث عن زوجته :

لقد كان كل شيء خاطفا .. تقابلا وتحابا وتزوجا وامضيا شهر العسل

في قرلسا ، يتجولان بين ربوعها بالسيارة ا

قال : لقد كانت دائما عصبية وهى فى السيارة .. كانت تتعلق بى
كأننا تخشى ان تسقط من السيارة ، وأنا لا افهم الآن سر عصبيتها ،
لأنها لم تتعرض من قبل لأي حادث ..

ولكن هذه الذكريات كانت تعاودنى دائما وأنا فى بورما ، كنت
احس بملس يدها تلشبثان بى وأنا أقود سيارتى فى غابات بورما ..
كنت أشعر دائما .. بأنه (غير معقول) ، أن إيلين اختفت من
الحياة ..

غير معقول .. نعم هذا هو الشعور ؟
هذا ما شعرت به برنتيس بعد وفاة باوبك . غير معقول لأنه
اختفى من الحياة .. لا بد أنه فى مكان ما .

لا بد أنه قادر على أن يشعرها بوجوده بطريقة ما .. غير معقول
أن يختفى ولا يترك شيئا .. ما أبشع ذلك الحاجز الغامض بين الأحياء
والأموات .

كان ريتشارد ما يزال يتحدث عن حياته الأولى ، كان يصف المنزل
الذي اختاره عشقا له ولزوجته وسط حديقة مليئة بأشجار الخوخ ،
وشجيرات الليمون .

قال ريتشارد فى النهاية :

— لا أدري حقا لماذا أخبرك بكل هذا !

ولكنه فى الحقيقة كان يدري .. كان يشعر بأن صورة إيلين
الرائحة بدأت تضمحل فى وجدانه لتظهر مكانها صورة الانسان الوديمة
الجميلة ..

صورة مسز برنتيس ٢٢

كان يشعر بأنه سوف يترك ذكرى إبلين يجوار هذه النافورة ، وهذه
الطيور ، وهذه الأشجار ، وهذه الشمس الحانية .
وكان يشعر بأن هذه هي آخر مرة يعيدها فيها إلى الحياة
بحديثه عنها ..
لقد كان حديثه عنها إلى برنتيس هو (صلاة الوداع) لروح الزوجة
الراحلة ..
ترك ريتشارد كل ذلك خلفه في الحديقة ، ثم سار مع آن يقتحم
شوارع لندن الصاخبة ا

الفصل الرابع

الحب

- ١ -

هل مسز برنتيس موجودة ؟

سألت لورا ويستابل هذا السؤال وهي تقف أمام باب المنزل ..

أجابتها أدبث التي فتحت لها الباب :

- ليست موجودة الآن ، ولكني أعتقد إنها لن تغيب طويلاً ، هل
تجيبين أن تنفصلي بالدخول لانتظارها ؟ أنا أعرف أنها سوف تسعد
كثيراً برؤياك .

ثم تنمت أدبث جانباً ، فدخلت لورا وهو تقول :

- سوف انتظرها ربع ساعة لا أكثر ، فقد مضت أيام كثيرة لم
أرها فيها .

نظرت لورا حولها وقالت :

- أرى أنكم غيرتم أماكن الأثاث ، كان المكتب من قبل في هذا الركن ، وكانت الكنبية في مكان آخر .

ردت الوصيفة باحترام :

- لقد فكرت مسز برنتيس أن المكان يبدو أفضل بعد هذا التغيير ، بنفسها ، فقد فاجأني بهذا التغيير قسالة : « أدب » ألا تعتقدن أن الغرفة تبدو أكثر جمالا الآن ؟ وأكثر انشاعا أيضا ؟ في الحقيقة لم أوافقها على رأيها ، ولكني لم أصرح لها بذلك حتى الآن كي لا أخرج مشاعرها ، السيدات هن نزوات أحيانا ، واكتفيت بأن قلت لها : يجب ألا تهتمي نفسك يا سيدتي حتى لا تصابي بالتلاق غصروني أو كسورني ضلوعك وتندمين بعد فوات الأوان وتقضين بقية عمرك عاجزة عن الحركة . أنا أعرف ذلك جيدا ، لأن اخت زوجي أصيبت بالتلاق غصروني وهي ترفع مزلاج النافذة ، ومن يومها وهي لم تغادر الفراش حتى الآن !

قالت لورا :

- بدون داع في الأغلب .. من حسن الحظ ان الأطباء لم يمددوا يصفون ملازمة الفراش علاجاً لكل مرض .
- إنهم حتى لا يتركون المرأة ترقد شهراً بعد ولادتها ، فقد الزموا ابنة أخي بمقادرة الفراش بعد ولادتها بخمسة أيام .
قالت لورا ضاحكة :

- إن جيلنا يا عزيزتي أكثر صلابة من نساء هذا الجيل .

- هذا حق ياسيدي ، فقد تعرضت لأمراض كثيرة في طفولتي ،
ولكنني تفلتت عليها جميعاً .. كنت أصاب بنوبات أخماء ونوبات تشنج ،
وفي الشتاء ، كان لوني يصبح أزرق تماماً ، وكان الهواء يملأ قلبي
ويصفر فيه .

ولكن لورا لم تهتم بتاريخ أدبتي الصحي ..

قالت مشيرة إلى آلات الغرفة :

- اعتقد ان مسز برنتيس مصيبة في هذا التغيير ، من المؤسف أنها لم
تعم به منذ زمن .

ردت الوصيصة بلمحة ذات مغزى :

- قليلاً قليلاً يبني العصفور عشه !

نظرت إليها لورا في دمعة قائلة :

- ماذا ؟ هل تمنين ؟

اومأت الوصيصة برأسها بإسمة قائلة :

- نعم ..

- أوه !

تبادلت المراتان نظرة فهم ..

ثم سألت لورا :

-- هل رأيت الكولونيل جرانف مؤخرًا ؟

- لا ..

ثم أضافت بلمحة من يرثي ميتاً :

- كان رجلاً لطيفاً .

ومرة أخرى قالت لورا :

- أو ؟

قالت الوصيفة وهي تغادر الغرفة :

.. أنا أعرف شخصاً إن يعجبك تغيير الآلات ، ابتتها .. إنها تكره

التغيير ؟

* * *

تناولت لورا كتاباً أخذت تصفحه ، وما هي إلا دقائق حتى سمعت صوت المفتاح يدور في ثقب الباب الخارجي ، ثم سمعت صوت الباب يفتح وترامى إليها صوت شخصين يتحدثان في مرح ..

صوت آن برنتيس وصوت رجل .

كانت برنتيس تقول :

- ها هو خطاب من ابنتي سارة .

ثم دخلت الغرفة وفي يدها الخطاب ، وخلفها ريتشارد كولدفيك . فوجئت برنتيس برؤية ضيقها ، فارتبكت لحظة ، ثم تماثلت نفسها وصاحت :

- لورا . يا لها من مفاجأة رائعة .. هذا هو مستر ريتشارد كولدفيك وهذه هي السيدة ويستابل .

نظرت لورا إلى الرجل بامعان ، وحددت معاملته في ذهنها بسرعة .. شخص من الطراز العادي ، عنيد ، أمين ، طيب القلب ، عديم الاحساس

جاد ، حساس ، وواقع في غرام برنتيس ..

ثم بدأت تتحدث اليه بصوتها العميق ا

قالت برنتيس :

- سوف أطلب من أدبث أن لمحضر لنا الشاي ..

صاحت لورا :

- لن أشارككنا الشاي يا عزيزتي ، انها الساعة السادسة تقريبا

توقفت برنتيس لحظة ، ثم أكملت :

- سوف أشرب الشاي مع ريتشارد إذا ، فقد كنا في حفلة موسيقية ،

ماذا تشيرين ؟

- براندي مع الصودا ا

- حسناً ..

ثم غادرت الفرقة ا

سألت لورا ريتشارد :

- هل أنت مغرم بالموسيقى يا مستر كولدفيلد ؟

- نعم ، وخصوصاً موسيقى بيتوفن .

- جميع الانجليز يحبون بيتوفن ، إن موسيقاه تبث النعاس إلى جفوني

أنا أسفة لهذا الرأي ولكني لا احب هذه الموسيقى ا

قدم لها ريتشارد حلبة سجائره قائلا :

- سيجارة يا مدام ؟

ولكنها رفضت قائلة :

- شكراً .. أنا لا أشرب السجائر .

ثم نظرت اليه بحدة وسألته :

.. إذن أدت من ذلك النوع من الأشخاص الذين يفضلون أن يشربوا الشاي بدلاً من الشيري في السادسة مساءً !

.. ليس بالضبط .. ، إنني غير مغرم بشرب الشاي . ولكن يبدو أن أن تحب الشاي ، وأنا أشاركها ذلك الشهور ، أرجو ألا تجدي هذا الكلام مضحكاً !

.. على العكس . الواقع أن برنتيس من ذلك النوع من النساء ، تبدو في أحسن حالاتها وهي جالسة خلف صينية شاي فضية عليها فناجين صينية لامعة مليئة بالرسوم البديعة ؟

قال ريتشارد في مرور :

.. ما أشد صواب رأيك !

.. أنا أعرفها منذ سنوات بعيدة ، وأنا أحبها كثيراً .

.. حدثني برنتيس عنك كثيراً ، وممعت عنك الكثير من قبل بالطبع !

ابتسمت لورا واجابت :

.. نعم ، أنا واحدة من اللاتي يحضرن الاجتماعات العامة واللاتي يدلين بأرائهن في الاذاعة ، ولكنني خرجت من تجاربي بشيء هو أنه مهما حقق المرء في الحياة ، فإن هذا الذي حققه ضئيل جداً ، وكان يمكن أن يحققه غيره .

احتج ريتشارد :

.. هذا رأي متشائم يا سيدتي ، اليس كذلك ؟

.. إذن أنت لا توافقني على هذا الرأي ؟

.. مع الأسف لا .. أعتقد أنه إذا أراد أي شخص أن يحقق شيئاً

في هذه الحياة ، فإن أول ما عليه هو ان يؤمن بنفسه .
... لماذا ؟ قد اكون طراز قديم ، ولكني افضل أن يعرف الانسان
نفسه ويؤمن بالله .

قال ريتشارد في حيرة :
... يؤمن ؟ يعرف ؟ اليسا شيئاً واحداً ؟
هزت المرأة رأسها وقالت :
- لا .. ليسا نفس الشيء ، انا اؤمن بنظرية انه يجب على الانسان أن
يتضي شبراً من حياته كل عام في صحراء بعيداً عن الناس جميعاً .

قال ريتشارد بامم :
- هذه نظرية ظريفة ، بشرط طبعاً ان تكون مجموعة من الكتب تقرأ
وقت فراغه !

هتفت لورا :
- لا .. لا ! هذا هولب النظرية ، الابتعاد عن الكتب ، الابتعاد
عن المعرفة الجاهزة ، يكفي ان يكون معه زاد ومساء ثم لا شيء ..
لا شيء على الاطلاق : لا كتب ، لا زادي ، لا جرائد ، لا شيء إلا
الانسان ونفسه .. ذلك يساعد الانسان على ان يقترب إلى نفسه ، ان
يتعرف عليها .

- الا تعتقدن إن كل انسان يعرف نفسه ؟
هزت لورا رأسها في عناد وردت :
- بكل تأكيد لا ، الانسان لا يملك الوقت اللازم لنفسه ، إن ضغط
المدنية الحديثة يفرض على الانسان ان يعرف ما يمجبه في نفسه .

وفي هذه اللحظة دخلت برنتيس باسمه وهي تحمل زجاجة في يدها قائلة :

- ها هو البراندي مع الصودا يا عزيزتي . وسوف تحضر الوصفة الشاي .. فم كننا نتحدثان ؟
- لقد كنت اشرح له نظرياتي الصعراوية .

ردت برنتيس ضاحكة :

- أوه .. اعرف نيتك يا عزيزتي كيف يعيش الانسان وحيداً في الصحراء حتى يكتشف مدى بشاعة نفسه !
قال ريتشارد جاداً :

- هل كل انسان يحوي نفساً بشعة ؟ أنا اعرف ان علماء النفس يؤكدون ذلك ، ولكن لماذا بحق السماء ؟

اجابت لورا على الفور :

- لأن الانسان إذا عرف جانباً من نفسه فإنه سوف يحرص على أن يعرف الجانِب الحسن فقط .
قالت برنتيس :

- كل هذا معقول يا عزيزتي ، وإنما على فرض تحقيق نظريتك ، ماذا يحدث بعد أن يعيش الانسان في الصحراء ويكتشف بشاعة نفسه ؟
ماذا يفعل ؟ هل يستطيع ان يغير نفسه ؟

- لا .. ليس من السهل ان يغير الانسان نفسه ، وإنما المعرفة تعطيه على الأقل المرشد إلى ما قد يحدث منه وله في حالات معينة وتجمعه يعرف ، وهذا هو الأهم ، لماذا يتصرف كما يتصرف !

- انا اتصور ان الانسان يستطيع أن يعلم ماذا يفعل في اي حالة معينة ، يكفي ان يتخيل نفسه في هذه الحالة ..

- لا يا عزيزتي آن .. تخيلي مثلاً ذلك الشخص الذي يتمرن على ما سيقله إلى رئيسه في العمل او خطيبته او حتى جواره .. إنه يرقب الكلام جيداً ويحفظه ، ولكن عندما تأتي لحظة التنفيذ ، إذ به إما ان يجد لسانه معقوداً ، وإما ان يقول كلاماً مختلفاً تماماً عما رقبه ، إن الناس الذين يؤمنون تماماً بأنهم قادرون على التصرف الحكيم ، امام ازمة هم على التحديد الناس الذين يفقدون روعهم امام هذه الأزمات ، بينما الذين يشعرون بأنهم عاجزون عن مجابهة المواقف يدهشون الناس ، ويدهشون انفسهم ، بامتلاكهم ناصية الموقف تماماً ..

- ما تقولينه الآن معقول تماماً .. انت تعنين إن الناس يتمررون على محادثات وتصرفات خيالية .. كما يحبون ان تكون هذه المواقف ، ولكني ايضا اعتقد إن الانسان يعلم جيداً نفسه وكل امكانياته .

قالت لورا في اشفاق :

- يا طفلي العزبة ، هل تعتقدن مثلاً انك تعرفين آن برنتيس ؟

اجابتها باسمه :

- نعم .. أعتقد إنني اعلم إنني لست انسانة لطيفة محرومة

وفي هذه اللحظة دخلت الخادمة ، وهي تحمل صينية الشاي .

قالت ادبث :

- ها هو خطاب سارة ياسيديتي ، فقد نسيته في غرفة النوم ا

- اوه .. شكراً ا

خرجت ادith ، ورضعت برنتيس الخطاب على المنضدة دون ان
دفتحه ..

اما ريتشارد كولدفيلد فإنه شرب فنجان الشاي بسرعة ثم استأذن
في الانصراف ا

.. ٢ -

قتمت برنتيس بعد خروج ريتشارد :

- إنه إنسان لبق ، فقد انصرف كي يمنحنا الفرصة للحديث .
ولكن لورا لم ترد عليها فوراً ، كانت تنظر اليها بامعان ، وتعاين في
دهشة ذاك التغير الرائع الذي ألم بصديقتها .

كانت ملامح آن الرضية الوداعة قد تحولت إلى جمال ساحر . فقسد
عرفت لورا ذاك التغير في نساء اخريات ، وكانت تفهم مفزاه . هذه
النظرات السعيدة ، هذا الاشعاع البديع .. انه الحب ا

امسا الرجال ، فإنهم يصابون باكتئاب يجعلهم يبدوون مثل الخراف
الضالة ..

وسألت صديقتها اخيراً :

- ماذا كنت تفعلين بنفسك في هذه الفترة يا عزيزتي ؟

- اوه .. لا شيء خاص ا

- إن ريتشارد كولدفيلد صديق جديد .. اليس كذلك .

- نعم .. فقد عرفته منذ عشرة أيام فقط ، قابلته اول مرة في عشاء
جيمس جرانت ، انه يعجبك يا لورا ، اليس كذلك ؟
ردت لورا مجاملة :
- يعجبني كثيراً !
- ان حياته السابقة كانت حياة حزينة !
وقتحت لورا مظهره الحديث :
- ما هي اخبار ابنتك ؟
- اوه .. انها تقضي وقتاً رائعاً .. الشاحج بديع ، ولم يصب احد بمحادث
حتى الآن !
- هذا شيء يثير حزن ادبث فيما اعتقد ..
وضمكت الصديقتان ..
- هذا الخطاب من ابنتي .. هل تسمعين لي بقرائه ؟
- طبعاً يا عزيزتي
فتحت برنيس الخطاب وقرأته ، ثم ضحكت بمودة وأعطت الخطاب
لصديقتها ، فقرأته ..
« ماما الحبيبة ..
الثلج مدهش هنا . الجميع يقولون ان هذا هو أحسن موسم انزلاق
عرفته سويسرا .. روجر لطيف جداً معي .. وصديقتي لو تعتقد أنه
يحبني ، ولكني أعتقد أن هذه ميول عادية منها ، لأنها تسعد عندما
تراني أسقط فوق الثلوج .
قابلت هنا الليدي كرونشام ، ومعها ذلك الرجل المزعج من جنوب

أمريكا أشعر بميل نحو أحد المدرسين ، ولكن من المؤلف أنه لم يتجاوب
لأنه متعود على أن تشعر الفتيات بميل نحوه أثناء تدريبه هن ..
لقد تعلمت أخيراً أن أرقص الفالس فوق الشاوج .. ما هي أحوالك
يا ماما العزيزة ؟ أرجو ان تتمتعى بوقتك مع كل أصدقائك .
كيف حال صديقك المعجوز كولونيل جرانت ..
إلى اللقاء قريباً .

ابنتك المحبة
سارة

أهدت لورا الخطاب إلى برنتيس ، ثم قالت :
- نعم .. يبدو أن ابنتك تنعم بوقتها جيداً .. وأنت ؟
كانت برنتيس تفرك يديها في عصبية ..
واخيراً قالت :
- أعتقد أنني يجب أن أخبرك يا لورا .. ريتشارد كولدفيلد عرض
علي الزواج .
سألته لورا :
- متى حدث هذا ؟
- اليوم فقط ..
- وهل وافقت ؟
- أعتقد ذلك .. أوه ، لماذا أقول هذا ؟ فقد وافقت طبعاً !
- اليس هذا قراراً سريعاً جداً ؟

- تعنين انني لم أعرف ريتشارد مدة كافية ؟ حسناً ، ولكن كلانا واثق من مشاعرنا نحو الآخر .

- وانت تعرفين الكثير عنه من خلال الكولونيل جرانث ، أنا سعيدة من احبك يا عزيزتي ، تقبلي تماني المخلصة

ضحكت برفتيس بعصبية وتتمت :

- ان الأمر يبدو لك صبيانياً ، غير اني في الحقيقة مغرمة كثيراً به !

- لماذا يبدو صبيانياً ؟ هل يحبك هو إلى هذه الدرجة ؟

- أكثر ..

- الحق ان هذا يبدو واضحاً عليه .. نعم إنه يبدو كالحروف

الضال تماماً .

- ريتشارد يبدو مثل الحروف ؟ ما هذا الكلام ؟

- يا عزيزتي .. كل عاشق يبدو مثل الحروف .. هذا قانون

الطبيعة

- إنما يهيجك يا عزيزتي ، اليس كذلك ؟

أجابت لورا ببطء :

- إنه شخص بسيط جداً يا آن !

- بسيط ؟ ربما .. ولكن اليس هذا أفضل ؟

- وهو حساس ايضاً .. حساس جداً !

- ما أذكك يا لورا .. نعم هو حساس حقاً .

سألته لورا :

- هل اخبرت سارة ؟

- ليس بعد بالطبع . فقد أخبرتك ان عرض الزواج حدث
اليوم فقط ..

- اعرف هذا ، وإنما اسألك عما إذا كنت قد حدثت ابنتك عنه في
خطابتك ؟ مهت الطريق ؟
- لا .. سوف اكتب لها وأخبرها .

ومررت لحظة قبل أن أقول :
- لا اعتقد أن سارة سوف تمنع في الزواج ، ليس كذلك ؟

- هذا شيء لا يمكن التنبؤ به !
اجابت برنتيس فيما يشبه الحلم :
- إن سارة تحبني كثيراً ، وتحب سمادتي ، وهي شابة لطيفة ،
أعتقد .. اعتقد إنها سوف تجد الأمر كله مضحكاً !
- معقول كثيراً .. هل يضايك هذا ؟

- لا يضايقي .. وإنما سيضايق ريتشارد بالتأكيد .
- من أجل هذا افضل ان تعلم ابنتك الخبر السعيد قبل عودتها من
سويسرا ، بذلك يكون لديها الوقت الذي يعملها تتمود على هذا التغيير
الجديد .. هل حددتما موعداً للزواج ؟

- ريتشارد يريد ان نتزوج بأسرع ما يمكن ، وفي الحقيقة ، فانا ايضا
لا ارى داعياً للانتظار .
- نعم .. كلما بادرتما بالزواج كان ذلك افضل .

انقسمت برنتيس في مرور واجابت :
- الظروف تسير في صالحنا ، فقد حصل ريتشارد على وظيفة في شركة

(. اخوان هيلز)

- هذا بديع ..

ثم قامت وقبلت برنتيس مهنسة ، نظرت اليها قائلة :

— والآن ما معنى هذا العبوس المفاجيء ..

- إني افكر في ابنتي ، أرجو ألا تستاء من زواجي .

.. يا عزيزتي برنتيس ، حياة من تحبين ؟ حياتك أم حياة ابنتك ؟

.. حياتي طبعاً ، وإنما ..

قاطعتها لورا قائلة :

- اذا استاءت ابنتك دعيها تستاء ، ستقلب على استياها سريعاً ..

انها تحبك .

.. هي تحبني .

.. وهذا شيء يؤلمك ، حرصك على مشاعرها ، نعم .. لا شيء يؤلم

مثل الحب .. وكلما زاد عدد الأشخاص الذين يحبونك كلما ازدادت

الامك ، من حسن الحظ انه لبس في حياتي من يحبني ، معظم الناس

يكرهوني والباقيون لا يهتمون بي .

قالت برنتيس محتجة :

.. لورا .. هذا غير صحيح ..

. وداعاً يا عزيزتي .. وأرجوك ألا ترغمي عزيزك ريتشارد على ان

يقول انه يحبني ، انا اشعر مقدماً انه لم يرتح لي .. واطمئني فذلك لا

لا يزعجني قط ..

وفي المساء كانت لورا تجلس مع صديق لها في احد المطاعم ، وكان
الصديق يتحدث في حماس عندما لاحظ فجأة شرودها .
سألها :

- ما الذي يزعجك يا لورا ؟
- أوه .. كنت أفكر في أم وابنتها ..
- أم طاغية ؟
- بل بنت طاغية ..

الفصل الخامس

سارة

- ١ -

قال البروفيسور جودفري فين :

- حسنا يا عزيزتي برنتيس .. طبعاً انا ارجو ان تقبلي نهائي ، او اي شيء يقوله الناس في هذه المناسبات ، ان خطيبك رجل سعيد الحظ جداً بك .. نعم سعيد الحظ كثيراً ، أنا لم أقابله بعد ، او هل قابلته ؟ أخشى اني لا اذكر اسمه .. هل هو صديق قديم لك ؟
- لا .. فقد قابلته منذ ايام معدودة .

نظر اليها البروفيسور من فوق نظاراته وكأنه ينظر الى عينة علمية في العمل ثم قال :

- ايام معدودات ، اليس قراركا الزواج اذا قراراً سريعاً ؟ قراراً
اهوج ؟

ردت برنتيس في ثقة :

- لا .. لا اعتقد هذا ؟

- الزواج في قبائل « المانا وايلالا » ، لا يتم الا بعد خطوبة سنة او
سنة ونصف .

قالت برنتيس ضاحكة :

- لا بد إذا أنها قبائل حلرة جداً ، كنت أعتقد أن المتوحشين
يتصرفون تبعاً لأهوائهم السريعة .

صاح البروفيسور في ذعر :

- « المانا وإيالا » قبائل متوحشة ؟ هذا خطأ . خطأ فاحش ، إن لهم
مدنية واضحة أصيلة ، إن طقوس الزواج عندهم ممقدة للغاية ، هل تعرفين
ماذا يحدث للامروس ليلة الزفاف ؟ ولكن دعينا من هذا . هذا شيء لا
أستطيع أن أناقشه مع سيدة ، ولكنها في الواقع طقوس غريبة جداً
ويبدو أنها بدأت عندما تزوجت الأميرة .. ولكن دعينا من هذا ، في
الحق لا يجوز أن أناقش هذه التفاصيل معك ، فيها نتكلم إذا .. اه ..
هدية الزواج ، ما هي الهدية التي تحبين أن أقدمها لك بمناسبة الزواج
يا عزيزتي ؟

.. ليس هناك أي داع لأن تقدم لي أي هدية يا عزيزي جودفري

هز البروفيسور رأسه في عناد وقال :

- لا لا . لا بد اما هي الهدية المعتادة ؟ تحفة فضية ؟ أم

لعلها طعم ملاعق ؟ أو جهاز لتسخين الحبز ؟ اه . نعم .. إياه للزهور ،
ولكن بحق السماء يا برنتيس قولي انك تعرفين شيئاً عن هذا الزواج ،
أو أن لكنا معارف مشتركين ، كثيراً ما نقرأ حوادث مؤلمة تنجم عن
مثل هذا الزواج .

- تأكد انه لم يلتقطني من الرصيف ، وإني لم أؤمن على حيايتي
لصالحه !

نظر اليها جودفري فبين في ذعر ، ولكنه اطمأن عندما رآها
تضحك وقال :

- حسناً .. ربما ازعجتك بقلقي ، انما على الانسان أن يحتاط دائماً
ما هو رأي ابنتك الصغيرة بهذا الزواج ؟

اكفهر وجه برنتيس لحظة .. اجابت بعمدها ببطء :
.. لقد كتبت خطاباً إلى سارة في سويسرا ، ولكنني لم اتمكن رداً منها
بعد ، لم يمر وقت طويل طبعاً ، وإن كنت توقعت ..
ولم تكمل برنتيس الجملة ..

قال البروفيسور الذاهل :

- من الصعب كثيراً أن يتذكر الانسان ان يرد الخطابات التي ورد
اليه ، فقد دعيت مرة إلى القاء محاضرات في جامعة اوسلو ، وكان في
نيقي أن أرافقي ، وأن ارد عليهم بموافقتي ، ولكنني نسيت كل شيء حتى
حشرت على هذه الدعوة في جيب معطف قديم !

قالت برنتيس في اشتفاق :

- ما هو موعد المحاضرات ؟

في مارس ..

- حسنا ، ما يزال هناك وقت حق يحمل مارس .

- مارس الماضي يا عزيزتي !

ضحكت برنيس قائلة :

- يا إلهي .. ولكن يا عزيزي جودفري ، كيف يبقى الخطاب في

جيب ممطف طوال هذه المدة ؟

- لقد كان ممطفا قديما .. كان احد اكمامه قد تمزق ، ولم يعد بإمكانه

الظهور به امام الناس فوضعتُه جانبا وبه الخطاب

- يجب ان يمتني بشؤونك احد يا جودفري .

هز رأسه وقال :

- لا أنا أفضل ألا يتم أحد بشؤني .. كان عندي في وقت من

الأوقات مديرة منزل قديرة ، وكانت طباحة ممتازة ايضا ، ولكنها

كانت تجمع اوراقي ، وتلقي بها في المدفأة بحجة النظافة ، إن النساء

يقدمن على النظافة وكأنها لون من العبادة .

- هناك من يقولون ان النظافة عبادة فعلا .

تنهد البروفيسور بدون مناسبة ، ثم قال :

- حسنا . سوف اوركك الآن يا عزيزتي آن .. ولكنني سوف

افتقدك كثيرا .

ودت باحسة :

- ولكنني لن أضيع يا جودفري .. اني لن اغادر لندن ، فقد

حصل ريتشارد على وظيفة في لندن ، وسوف يبقى هنا ، انا واثقة أنك

ستمعجب بريتشارد .

تنهد البروفيسور مرة ثانية وقال :

- ربما .. ولكن الأمر لن يكون كما كان سابقا ، عندما تزوج امرأة جميلة من رجل آخر ؟

توقف جودفري عن الكلام ، ثم ضغط يدها بحمارة قائلا :
- لقد كنت تمنين الكثير لي يا آن ، فقد جرؤت على أن أمل ..
ولكن لا .. لا .. لم يكن هذا ممكنا مع عجوز مدهول مثلي كان
ذلك يصيبك بالملل .. ولكنني افدرك جداً يا برنتيس وأنتى لك السمادة
من أحماق قلبي ، هل تعلمين ماذا تذكريني دائماً ؟ بتلك الأبيات الرائعة
من شعر هوميروس ..

ثم شرع يتلو لها الأبيات المختارة ، وفي النهاية ابتسم في طفولة وقال :
- هكذا ..

- أشكرك يا جودفري ، ولكنني لا أفهم معنى هذه الأبيات ..

قال في حماس :

.. إنها تعني ..

ولكنها قاطعته :

.. لا .. لا تشرح لي .. إنها تبدو رائعة بدون معنى ، وداعاً يا
جودفري العزيز ، وشكراً لك ! لا تلتصق قبعتك ، هذه ليست مظلتك
إنها مظلي ؟



ودعت برنتيس ضيفها حتى الباب ، ثم أغلقت الباب خلفه وعادت لتجد ادث تطل عليها من باب المطبخ قائلة .

- إنه وديع كطفل ، اليس كذلك ؟ كما إنه بارع في دراساته ، إنما لماذا يهتم بهذه القبائل المتوحشة ذات العادات القذرة ؟ إنه شخص لطيف وليس عجوزاً أيضاً .

أجابته برنتيس :

- إنه في الخامسة والأربعين .

- أم أقل لك ؟ إنها كثرة القراءة وسوء التغذية التي تجعله يبدو بهذا المظهر المحزن ، لقد فقد ابن اخي شعر رأسه كله عندما أصيب بالحمى ، وإنما الشعر نما بعد فترة ، ها هما خطايان لك .

تناولت برنتيس الخطابين ثم قالت :

- أدث .. هذا هو الخطاب الذي أرسلته لابنتي .. لماذا أعادوه لي بدون تسليمه إليها ؟ أوه .. ما أعيايني ، فقد كتبت المنول ، وإنما نسيت ان اكتب اسم ساره ، ماذا جرى لي ؟

- أنا أعرف ماذا جرى لك ؟

- اني أصبحت أقصر بغباء شديد .. الخطاب الآخر من لورا ويتستايل .. أوه ما الطغها .. سوف أكلها تليفونيا .

ورفعت الساعة وطلبت صديقتها :

- الو ؟ لقد استلمت خطابك الآن ا هذا لطيف جداً منك يا عزيزتي ! نعم .. سيسعدني كثيراً أن أحصل على لوحة بريشة بيكاسو ، طالما حصلت بأن امتلك واحدة لبيكاسو ، سأضعها أمام مكتبي مباشرة .. أوه .. يا

عزيزتي .. فقد كنت حقاً كثيراً . تصوري اني كتبت خطاباً لسارة
ذكرت لها فيه كل شيء . عن الزواج ، ولكن الخطاب عاد لي ، لأنني
كتبت العنوان ونسيت ان أكتب اسم سارة ، تصوري مدى غباوتي ..

جاءها صوت صديقتها العميق :

— معقول جداً ..

— ماذا تمنين بقولك معقول ؟

— أعني ما قلته تماماً .

— انا افهم أفكارك من نغمات صوتك .. أنت تفكرين في شيء نفسي
لتصورين لي نفسي أن اكتب اسم سارة ، لأن عقلي الباطن لم يرد أن
يصل الخطاب اليها ، هذه نظريتك في تفسير جميع الأخطاء .

— ليست نظريتي أنا ..

— على أي حال فهذا غير صحيح ، ماذا افعل الآن وسارة ستعود إلى
المنزل بعد غد دون ان تعلم شيء عن ائتمامي الزواج ، فسأضطر أن أشرح
لها كل شيء دفعة واحدة ، فأشعر بحرج شديد .. في الواقع لا ادري كيف
أبدأ ؟

— انت التي أوجدت نفسك في هذا الموقف لأنك لم تريدي ان تستلم
ابنتك الخطاب !

قالت برنتيس في عصبية :

— كل إنسان معرض للضياع يا لورا ، فقد كان عندي الآن جودفري
فين وأخبرني انه نسي دعوة لالقاء محاضرات في جيب معطفه اكثر من عام
هل توعين انه ايضاً أراد ان يلقى هذه المحاضرات ؟

لم ترد لورا ، ولكنها ضحكت ضحكة طويلة ..

ثم سألتها :

- هل كان يريد ان يلقي هذه المحاضرات ؟

- طبعاً ..

ضحكت مرة ثانية قائلة :

- معقول ..

- ٢ -

كان ريتشارد كولدفيلد يعيش أحلى أيام حياته !

كان يشعر بأنه رجل سعيد ، وكان يرى ان حياته كانت هزيمة
لهذات عديده قد استقرت أخيراً إلى مرفأ هادئ آمن .

كان قد استوعب مهام وظيفته الجديدة ، وكانت صداقته القديمة
بيريك هيلنر اصحاب شركة (اخوان هيلنر) قد أثبتت أنها صداقة
راسخة .

أما العمل نفسه فقد كان عملاً فنياً يعتمد على خبرته بالحياة في بورما
والشرق الأقصى .

لم يكن ريتشارد كولدفيلد نابغة ، ولكنه كان مخلصاً دؤوباً ،
ونحياً للعمل .

وكانت مشاعره الأولى بالوحدة والاغتراب التي صاحبته إلى المجملات
قد اختلفت .

كان يشعر بأنه ليس في الامكان ابداع ما هو كائن ، وظيفة مريحة
مربحة ، رئيس عمل صديق ، ومستقبل تحتل صدارته المرأة التي يحبها
والتي ينوي ان يتزوجها .

والواقع أنه كان يتساءل عما يعمل هذه المرأة الجميلة الوديمة الجذابة
تقع في حبه . . كان يكتشف في بعض الأحيان انها تنظر اليه وعلى
شفقتها ابتسامة مأكرة ، ولم تسخر منه آن قط ، بل انه مع الوقت
تعود على هذه الابتسامة ، وتعلم أن يتمتع بها كما يتمتع بكل ما يصدر
عن عزيزته برنتيس !

قال لها ذات مرة :

- اذت طيبة جداً معي يا آن . . انك تجعليني أكثر انسانية .

وردت عليه في الحال :

- كل منا يناسب الآخر يا ريتشارد !

- ليس عندي الكثير لأقدمه اليك فيما عدا حبي واهتمامي بك الى

آخر لحظة من عمري !

واجابت باسمه :

- لا تهتم كثيراً يا ريتشارد . . لا تشجع نقاط ضعفي .

قال في دهشة :

- نقاط ضعفك ؟ ليس بك أي نقطة ضعف .

- لا تجاملني . . اني أعرف نواحي الضعف في نفسي ، اعلم اني احب

أن يحاملني الآخرون ، أعلم اني لا أحب أن اجامل الآخرين على حساب مشاعري ، أعلم اني لا أحب المشاحنات ولا النفاق ؟

قال في ارتياح :

- حمد الله .. اني أكره ان ازوج امرأة مشاكسة لا تكف عن النفاق ، لقد رأيت نساء من هذا النوع ، ان اشد ما يجذبني اليك هو طبيعتك الجميلة الهادئة ، يا اعز الناس سوف نكون سعداء للغاية معاً !

قالت في اخلاص :

-- نعم .. سنكون سعداء معاً .

وكانت برنتيس تلاحظ ان ريتشارد قد تغير كثيراً عما عرفتته ، لم يعد في حالة دفاع عن نفسه ضد الشعور بالاعتزاز والشعور بالوحدة ، فقد أصبح - كما قال - اكثر انسانية واكثر ثقة في نفسه واكثر قدرة على التصديق .



سار ريتشارد في الشارع وهو يصفر لحنا (قديما) مرحاً .
ثم دلف الى محل للزهور وخرج منه وهو يحمل باقة جميلة من الزهور !

وصل الى منزل آن ، ثم صعد الى الطابق الثالث حيث توجد شقة برنتيس .

دق جرس الباب وفتحت له اديث ، وفي الحال سمع صوت ان تصبح

من داخل الشقة :

- ادبث .. هل رأيت حقيقتي ؟ فقد وضعتها في مكان ما ولا يستطيع
المشور عليها ؟

قال ريتشارد :

- مساء الخير يا ادبث ..

ثم دخل امامها الى الشقة ، لم يكن يشمر بارتياح ، وكان يحاول
ان يغطي هذا الشعور الغادر ببالغة في التلطف معها ، وان كان يشمر ان
هذه المحاولات غير مقنعة ، وكان ذلك يزيد في حرجه .

اجابت الخادمة في احترام :

- مساء الخير يا سيدي !

وجاءه صوت برنيس يصيح من جديد :

- ادبث ؟ ألم تسمعي ؟ ادخلي هنا فوراً ..

ثم ظهرت وفوجئت برؤية ريتشارد .

قالت الخادمة :

- لقد حضر المسار كولدفيك يا سيدتي .

تقدمت آن نحوه في دهشة وصاحت :

- ريتشارد تعال معي ..

ثم استدارت إلى ادبث قائلة :

- ابحثي عن هذه الحقيبة فوراً ، لعلها في غرفة سارة ؟

ثم جذبت ريتشارد من ذراعه إلى الداخل ..

خففت الوصيفة وهي تبتمد :

- في المرة القادمة ستفقدني رأسك
لم يكن ريتشارد يستريح إلى هذه الطريقة التي تتحدث بها اديث
إلى أن .. لم يكن الخدم يخاطبون مخدوميهم بهذه الطريقة منذ سنوات .
قالت له :
- ريتشارد . هذه مفاجأة ، لم أكن انتظره اليوم ، فقد توعدنا على
أن تتفدى معنا غداً .

قال باسم :
- لم استطع الانتظار حتى الغد ، انظري . فقد أحضرت لك هذه
الزهور
تسألت منه الزهور وشكرته ، ولكنه لاحظ أن الغرفة مليئة
بالزهور .

قال ريتشارد :
- أنت تبدين في غاية السرور والاندفاع .
- طبعاً .. إن سارة ستصل اليوم !
- حقاً ؟ فقد نسيت ..
قالت في عتاب :
- ريتشارد ..
ولكنه كان قد نسي حقاً ، فقد أخبرته بوعده وصول ابنتها مرات
ومرات ، عندما كانا معاً في المسرح في الليلة السابقة ، لم يشر أحدهما
إلى هذه الحقيقة بكلمة واحدة .

كانت قد انفقت معه على أن تبقى بمفردها مع ابنتها يوم وصولها على

اب يزورها في اليوم التالي ويتناول الغذاء معها ، قال .
- انا اسف حقا يا عزيزتي ، فقد نسيت تماما الموعد ، ولكن لم أنت
منفعملة هكذا ؟

ردت في عصبية :
- أريد أن أسرع إلى المحطة لأكون في استقبال ابنتي ، انت لا
تتصور كم أنا مشتاقة اليها !

ثم نظرت إلى ساعتها قائلة :
- هل العموم عندي بضع دقائق نقيضها معاً .
دخلت الخادمة الغرفة وهي تحمل الحقيبة قائلة في امتعاض :
- وجدتني في دولاب الغسيل !
ضجعت برنتيس وقالت :

- أوه . لا بد لي من وضعها هناك عندما كنت أبحث عن أكياس
المخدات . هل وضعت الملائات الخضراء على سرير سارة ؟ هل نسيت ؟
- وهل أنا بمن بلسون ؟
- وهل وضعت السجائر على الطاولة ؟
- نعم ا

- و (توبي) و (جامبو) ؟
- نعم نعم ا

ثم هزت رأسها في كبرياء وخرجت من الغرفة
نادتها اب :

- ضعي هذه الزهور التي أحضرها مستر كولدويل في إناء .

تناولت الحادمة الزهور وهي تقول :
- لم يعد هناك مكان خال لزهور جديدة ، ولكنني سأرى ما يمكن عمله .
ثم حملت الزهور وخرجت .
قال ريتشارد :
- انت .. لم أدرك من قبل قط في هذه الحالة ، انت منفعلة كأنك طفلة !
ضجعت بانفعال :
- انا لا اتمالك نفسي عندما أأصور الي سأضم ابنتي إلي صدري
بعد قليل .
قال فيا يشبه العناد :
- نعم .. لقد افترقتما دهرأ .. ثلاثة أسابيع كاملة ..
نظرت اليه ان في استسلام لطيف وقالت :
- تسخر مني يا ريتشارد .. اعترف بأنني أحب سارة يحنون .. هل
يضيقك هذا ؟
- بالطبع لا ، انا أيضاً متلهف إلى لقائنا !
- إنها هوائية وعاطفية ، وانا واثقة أن كلا منكما سوف يحب الآخر .
- انا واثق من ذلك !
ثم أضاف باسم :
- إنها ابنتك فلا بد أنها فتاة جميلة جداً .
- هذا قول لطيف منك يا ريتشارد ..
ثم وضعت يدها على كتفيه ورفعت وجهها اليه فاحتواها بين ذراعيه
وقبلها ..

قالت وهي ما زال بين ذراعيه .

- أرجو أن تكون صبوراً معي يا ريتشارد ، اقصد حق تنموه
ابنتي على فكرة زواجنا ، إن الخبر قد يكون صدمة لها ، لو اني لم أنس
كتابة اسمها على الخطاب ؟

قال في عطف :

- هدي روعك يا عزيزتي . أنت تعرفين انك تستطيعين الوثوق بي .
قد تنأثر سارة في البداية ، ولكننا سنعمل معاً على اقناعها بأن هذا الزواج
شيء رائع في صالح الجميع ، فأكدي اني لن أغضب إذا سمعت أي كلام
يليه عليها انفعالها .

- اره .. هي لن تقول شيئاً ، إنها فتاة حسنة التربية ، ولكننا
لنكره التخمير هذا كل ما في الأمر .

- ولكننا فتاة ناضجة وستقدّر ان هذا الزواج يسهل عليك .

ولكن وجهه ان ظل مكتمراً ، قالت :

- لو اني كتبت لها على الفور .

ضحك ريتشارد عالياً وقال :

رباه يا ان من يراك يتصور انك طفلة صغيرة ضببت وهي تسرق
المرتب ، نشجعي يا عزيزتي ؛ سيكون كل شيء على مسأيرام ؛ سأنجح في
اكتساب رضا ابنتك ؛ سنصبح أصدقاء .

نظرت اليه ان في شك ؛ لم تنجح طريقته المرحية في طرده وسأوسها ؛
بل ربما كانت تفضل أن يبدو قلقاً مثلها .

واستمر ريتشارد يقول :

- آن .. لا يجب ان تستسلمي للرساوس هكذا ؟
- هذا ليس من طبيعتي حقا ا
- ولكنك الآن كنتة من الانفعال والمصيبة ، الأمر بسيط يحدث كل
يوم ، اننا سوف نتزوج ولننا بصدد ارتكاب جريمة :

قالت في حيرة :
- الأمر كله هو اني خجولة ، لا اعرف ماذا اقول لسارة ، لا أدري
من أين ابدا .
- لماذا لا تقولين لها ببساطة : « سارة .. هذا هو ريتشارد كولدفيلد
الذي سأتزوجه في القريب العاجل » ؟

ابتسمت برنتيس رغم انزعاجها وتمتمت :

- بهذه الغلظة ؟
- ليست هذه هي الطريقة المثلى ؟
أجابتي في تردد :
- قد تكون على حق .. ولكنني سأشعر بأني حمقاء ا
هتف :

- حمقاء ؟
- نعم .. كيف أتصور نفسي ، وأنا أخبر ابنتي الشابة بأني
سوف اتزوج ؟

- لا أرى عيبا في هذا ا
- هذا لأنك لا تعرف كيف تنظر البنات الى امهاتهن والأبناء الى
ابائهن ، انهم يتصورون أن ذريتهم قد انتهوا من الحب ومن كل المشاعر

الدينوية ، إنهم يحملون على ذريهم هالة تجعل من المتعذر عليهم أن
يخلعوا عليهم صفات ادمية ، كل أم هي امرأة عجوز بالنسبة لابنتها ،
كل ابنة تتصور أن الحب من خصوصيات الشباب فقط .. وهذا
ينطبق على ابنتي سارة أيضاً ، سوف ترى في زواجي شيئاً مثيراً
للسخرية !

قال في انفعال :

- لا أرى في زواجك مني ما يدعو للسخرية .

- من وجهة نظرك طبعاً نحن متعلقان .

نظر اليها ريتشارد برهة مقطب الجبين ..

ثم قال بصوت متجهج .

- اسمعي يا عزيزتي .. أنا أعلم أنك وسارة متعلقتان احداً كما
بالأخرى كثيراً / وأعلم أيضاً أن ابنتك قد تشمر بالقيرة مني ، وإذا
حدث هذا فهو أمر طبيعي ، وأنا على استعداد لقبوله ، بل لعلها
ستكرهني في البداية ، ولكنها في النهاية ستتخلى عن مشاعرها الصبيانية ،
سوف تعلم أن لك الحق مثلها في أن تعيش حياتك الخاصة ، وأن
تبعثي عن سعادتك ؟

احمر وجه برنتيس وأجابت :

- تأكد أن ابنتي لن تحقد على سعادتي .. ليس هناك أي وضاعة أو
دناءة في خلق سارة . إنها أكرم مخلوقة في هذه الدنيا .

.. الحقيقة إذاً .. أنك تصنعين من الحبة قبة .. من يدريك أن
ابنتك لن تطير من الفرح عندما تعلم بخبر زواجنا ؟ إن هذا الزواج

أيضاً سوف يحورها أكثر من روابط المنزل .
 - يحورها من روابط المنزل ؟ أنت تتكلم كما كان يتكلم الناس
 منذ مائة عام !

- هل الحقيقة غير ذلك ؟ هل الحقيقة هي أن الأم لا تريد لفراشها
 أن تغادر العش ؟
 .. أنت خطي يا ريتشارد . خطي تماماً !

- لم أكن أريد أن أخيفك يا عزيزتي ، ولكن حب الأم الزائد قد
 يكون ضد صالح أبنائها . أذكر أنني كنت شغوفاً كثيراً بأبي وأمي
 ولكن الحياة معها كانت نثير جنوني . كانا يسألاني كل يوم عما إذا
 كنت سأناخر في الخارج ، ويسألاني عن الأماكن التي أذهب إليها ..
 لا قدس مفتاحك . لا تحدث ضجة عند عودتك متأخراً .. لقد نسيت
 نور الصلاة مضاء بالأمس . ماذا ؟ هل تريد أن تخرج الليلة أيضاً ؟
 أنت لا تقدر مشاعرنا نحوك ؟

توقف ريتشارد عن الكلام لحظة ثم قال :
 لقد كنت أقدر مشاعرنا نحوي كثيراً ، ولكن يعلم الله كم كنت
 أفوق للانفصال عنها .

- أنا أفهم كل هذا طبعاً .
 - لا تنضي إذاً ، إذا اتضح لك أن سارة تحمل باستقلالها عنك أكثر
 مما تتصورين ، لعلها تريد أن تكون فتاة أعمال

- ابنتي ليست فتاة أعمال ؟
 - هذا ما تتصورينه ، ولكن هناك فتيات كثيرات يعملن جنباً إلى

جنب مع الرجال .

- هذا بسبب الحاجة المادية .

- ماذا تقصدين ؟

قالت برنثيس بضيق :

- أنت متأخر عن هذا الزمن بخمسة عشر عاماً على الأقل ، كانت الموضة الشائعة قديماً هي الاستقلال عن الأبوين ، وما زالت بعض الفتيات يفعلن ذلك ، ولكنها لم تمتد صرخة المصير . لقد فقدت تلك الموضة بهاءها وروعها ، أصبحت الفتاة لا تعمل إلا إذا كانت محتاجة فعلاً إلى المال . ابنتي ليست بحاجة إلى المال ، وهي لا تعرف شيئاً ، إلا أنها تتقن بعض اللغات وتدرس ديكور تلسيق الزهور ، عندي صديق يملك محلاً للزهور ، وقد اتفقت معه على ان تعمل ابنتي معه ، إذا شئت .. لا معنى إذاً للكلام عن فتيات الأعمال ، وعن الرغبة في الاستقلال والشوق إلى الحرية ، سارة هي فتاة طبيعية تحب أمها ، وتحب بيتها .

- أنا اسف يا عزيزتي ، ولكن ..

قطع عليه حديثه دخول الخادمة وطى وجهها دلالات الذي كانت يسترق السمع .. قالت :

- لا أريد أن أقطع حديثكس ، يا سيدتي .. ولكن الوقت يمر بسرعة ..

نظرت آن إلى ساعتها ، ثم أجابت :

- لا يزال عندي بضع دقائق .

ثم صرخت :

- رباه .. ساعتي متوقفة ، ما هي الساعة بالضبط يا أديث ؟
- الواحدة والنصف تماماً !

هتفت آن :

- يا إلهي .. سوف تصل ابنتي إلى المحطة ولا تجدني في انتظارها ،
كل شيء يسير ضدي اليوم .. أين حقيقتي ؟ اه .. هـا هي .. اسمع يا
ريشارد .. لا تنصرف .. ابقى حتى أعود وتناول معنا الشاي ، اعتقد
ان هذه أفضل طريقة ، والآن يجب أن اجري
هرعت برنتيس إلى الباب وخرجت ..

كانت أثناء خروجها قد اصطدم طرف ثوبها بإناه أزهار ، به زهور
التيوليب ، فأوقع بعض الزهور على الأرض ..
الحننت الوصيفة فوق السجادة والتقطت الزهور ، ثم أعادتها بعناية
بالغة إلى الاناء قائلة :

- إن زهور التيوليب هي الزهور المفضلة عند الانسة سارة .

قال ريشارد بشيء من التذمر :

- يبدو أن هذا المنزل يدور كله في فلك الانسة سارة !

اختلست الخادمة منه نظرة سريمة ، وقالت له بصوت مجرد من
العاطفه :

- إنها فتاة مدهشة في الواقع ، وهذا شيء لا يمكن إنكاره ، إنها شقية كثيرة الحركة والفضجة ، ومعتادة على أن تترك كل ثيابها وأشبانها مبعثرة في كل مكان . إنها تشير جنوني ، وأنا أنظف خلفها ، ولكفي أعبدها رغم كل شيء . . لا يملك كل من يعرفها إلا أن يعبدها . . إنها جذابة ، وهذه هبة طبيعية لأحيلة لأحد فيها .

هناك فتيات غيرها مؤدبات لا يسببن أي متاعب لنوبيين ، وينظفن كل شيء بأنفسهن ، ولكنهن مع ذلك غير محبوبات لأن ثقلات الظل ، هذه أيضاً لمة من السماء لأحيلة لأحد فيها ، قل ما شئت ، قل أنه عالم قاضي لا عدالة فيه ، ولكن هذا هو واقع الدنيا رغم ما يقوله السياسيون والخاللون والمثاليون عن وجوب العدالة والمساواة .

قال ريتشارد محاولاً أن يكسب ود الوصيقة الخفية :

- لقد مضى عليك عهد بعيد وأنت مع مسز برنتيس ، اليس كذلك يا أديث ؟

- أكثر من عشرين عاماً ، فقد التهمت بخدمة أمها قبل أن تزوج مسز برنتيس الراحل ، فليرحم الله ، كان سيداً مهذباً
نظر إليها ريتشارد بمحبة . . هل تعرض المرأة به ؟ هل تقارن بينه وبين الزوج السابق ؟

سألها : هل أخبرتك مسز برنتيس أننا سنزوج قريباً ؟

أومات برأسها وردت :

- نعم ، ولو أن الأمر لم يخف علي من البداية !

- أرجو أن نصير أصدقاء أنا وأنت يا أديث .

ردت في تشاؤم

.. أرجو ذلك يا سيدي .

- قد يسبب زواجنا لك مزيجاً من الجهد والعمل ، ولعله يحسن أن
ان نستمع بامرأه اخرى لتساعدك .

- لا اوافق على ذلك ، إن هذه المرأة ستكون عامل تعطيل اكثر
منها عامل مساعد لي ، انا لا أكل ولا امل من العمل ، كل ما سيعتد
هو تغيير نظام المعيشة ، نظراً لوجود رجل في المنزل .. وجبات
الطعام مثلاً ؟

رد ريتشارد باسماً :

- انا لست شرها في العاده ا

تتمت على غير المتوقع :

- المهم هو اصناف الطعام لا كميّاتها ، وعلى العموم فإن وجود رجل
في المنزل سيضفي بهجة جديدة على كل شيء .

قال ريتشارد بامتنان :

- هذا قول لطيف منك ..

- تستطيع ان تعتمد علي يا سيدي ، ما كنت لأخذل مسز برنتيس
قط .. ما كنت لأختل عنها ابداً خصوصاً وهي على اهبة المناعب ا

هتف ريتشارد في الانعاج :

- المتاعب ؟ ماذا تمنين بذلك ؟

ردت أديث :

- لم يطلب احد نصيحتي من قبل ، وأنا لست بالتي تعطي النصيحة

بدون طلب ، ولكن ما هو رأيي ، لو ان الانسة سارة عادة لتجدها زوجا وزوجة ، فإن ذلك كان يكون افضل للجميع .

وقبل ان يحيب ريتشارد رن جرس الباب فجأه ..
وقبل ان تتحرك ادبث رن الجرس مره اخرى ، ثم امتمر الرنين بدون انقطاع ..

قالت ادبث باحمة مشيره إلى الباب :
اذا اعلم ايضا من يندق الجرس بهذه الطريقة ؟
وسارت حق وصلت إلى الباب الخارجي ، وعند ذلك ترامت إلى اسماع ريتشارد اصوات تضحك وتتكلم بسرعة !

صاح صوت فتاة :
- ادبث ايتمها العجوز العزيزه ابن ماما ؟ هيا يا جيري .. ضع ادوات الانزلاق في المطبخ .

وصاح صوت الوصيقة :
- ليس في مطبخي بكل تأكيد ؟
وصاح صوت الفتاة :
- ولكن ابن ماما ؟
ثم دخلت سارة الغرفة ..
كانت فتاة سمراء جميلة ، وكانت مفعمة بالشباب والحيوية لدرجة انارت دهشة ريتشارد كولدفيلد .

كان قد رأى صوراً فوتوغرافية لسارة من قبل ، ولكن الصور

الفوتوغرافية تعكس الشكل ، ولكنها لا تعكس الروح .
وكان ريتشارد بتصوير سارة نسخة شابة من أمها ، ولكنها كانت شخصاً
مختلف تماماً ..
كانت كتلة من الشباب والألوة ، كان مجرد وجودها بضغبي على
المكان روحاً غريبة !
صاحت :

— أوه .. ما أجل زهور التوليب هذه ، إن لها رائحة الليمون
الطازج الذي أشم فيه بوجود الربيع .
وعند ذلك وقع نظرها على ريتشارد .
قال ريتشارد بسرعة :
— أنا ريتشارد كولدفيلد .

صافحته بأدب ثم سأله :
— هل أنت في انتظار ماما ؟
قال ريتشارد :

— أخشى إنها ذهبت إلى المحطة لاستقبالك منذ دقائق قليلة ، منذ
خمس دقائق بالتحديد .

صاحت سارة :
— لقد تأخرت كما دتها ، لماذا لم تحرص أدب على أن تجعلها تحافظ
على الوقت ؟ أدب أين أفت ؟
قال ريتشارد :

- لقد توقفت ساعتها ..

أجابت دون اكتراث .

- حقاً .. جيري .. أين أنت يا جيري ؟

ودخل الغرفة ، في هذه اللحظة ، شاب ذو وجه جميل وهو يحمل حقيبة سفر في يده .

قال جيري ساخراً :

خادمك المطيع جيري ، أين تريد أن أضع حقيبتك ؟ لماذا لا يوجد
حبالون في هذه المنازل ؟

أجابت ضاحكة :

- هناك حبالون كثيرون ، ولكنهم يختفون عندما يصل أحد ومعه
حقيبة سفر ،خذ الحقيبة إلى حجرتي يا جيري ، أوه .. هذا هو مسافر
جيري ليولد يا مسافر .. مسافر !

قال ريتشارد :

- كولدفيلد ، ريتشارد كولدفيلد .

دخلت أدبث الغرفة ، فعانقتها سارة وقالت :

- ما أسعدني بروية وجهك المتجهم العزيز ..

هتفت أدبث في كبرياء :

- وجهي المتجهم حقاً .. هذا كثير ، وأرجوك ألا تقبليني يا مس
برنتيس من فضلك .

أجابت ضاحكة :

.. لا تتظاهري بالغضب أيتها الماكرة ، أنت تعرفين أنك سعيدة
لعودتي .. رباه ، ما انظف الشقة يا ادبث ، كل شيء كما عهدته قبل
سفري .. لا فقد تغير مكان المكتب ، والكنبة أيضاً .
- والدتك هي التي أمرت بهذا التغيير ، لأنه يجعل الغرفة أكثر
اتساعاً .

قالت سارة في ضيق :

.. لا لا . أنا اريد كل شيء كما كان اجيري .. جيري !

دخل جيري الغرفة مسرعاً وهو يقول :

- ماذا وراءك الآن ؟

ولكن سارة كانت قد شرعت في نقل المكتب .. وكان ريتشارد
يساعدها !

قال جيري لريتشارد :

.. لا تتعب نفسك معها يا سيدي ، هذا هو مهلي ، أين تريدان المكتب
يا سارة ؟

ردت سارة :

- حيث كان دائماً ، هناك ؟

تمت عملية التغيير وتنفست سارة الصعداء وقالت :

- هذا أفضل بكثير !

قال جيري وهو ينظر إلى الغرفة بعين الناقد :

- لا أعتقد ذلك ؟

تمتت في عناد :

... ولكنني أرى أنه أفضل بكثير ، أنا أحب ان يبقى كل شيء في
المنزل كما هو ، وإلا فإنه لا يعود منزلاً ، أين الوسادة التي عليها رسوم
الطيور يا أدبث ؟

اجابت الوصيقة :

- ارسلناها للتنظيف ؟

تمت سارة :

- حسناً .. سوف أذهب الآن لأرى حجرتي ، جيرتي جهاز انسا
بعض الشراب ، أنت تعرف مكان كل شيء .
ثم خرجت ..

قال جيرتي لريتشارد :

.. ماذا تحب أن تشرب يا مسر كولدفيلد ؟

ولكن ريتشارد قال في حدة مفاجئة :

- لا شيء من أجلي يا مسر ليولد ، سوف انصرف ؟

سأله جيرتي :

.. ان تنتظر عودة مسز برنتيس ؟ من المؤكد أنها ستكون هنا سريعاً
عندما تكتشف انها وصلت بعد وصول القطار .

قال ريتشارد :

لا .. شكراً لك .. ارجو ان تبلغ مسز برنتيس بأنني سأحافظ على
موعد الغد ..

ثم أحق رأسه تحية له وخرج ..

وتراعى اليه وهو يعبر الصالة صوت سارة وهي تتحدث إلى الوصيقة

بسرعة فائقة

فكر انه من الأفضل حقا ان ينصرف ..

فقد ازعجه انه لم يجد سارة كما تخيلها . كان يتخيلها طفلة واقمة
تحت تأثير حب امها الزائد لها .

حق هذه اللحظة كانت سارة ابناً مجرداً ، ولكنها الآن حقيقة
واقمة .

الفصل السادس

الازمة

عادت سارة إلى الغرفة وهي تحبك حول جسمها روبا متزائلا انيقا اظهر
قدها الرشيق .

قالت وهي تدخل الغرفة :

- كان لا بد أن اتخلص من ملابس السفر ، إني في حاجة قوية
لحمام .. ما اشد قذارة اللقطارات ، هل جهزت شراباً لي يا جيري ؟
ناولها جيري كأسها ..

- شكراً لك يا جيري ، هل ذهب ذلك الرجل ؟ جداً لا ؟

سألها جيري :

- من هو ؟

ضحككت سارة وقالت :

- لم اره قط في حياتي ، لا بد انه واحد من المجيبين بامام !
دخلت اديث الغرفة لتزيع الستائر ، وسألتهما سارة من كان ذلك

الشخص يا ادبث ؟

- إنه صديق لوالدتك ..

قالت في مرح :

- من حسن الحظ اني عدت في الوقت المناسب كي اشرف على نوع
الأصدقاء الذين تختارهم ماما .

نظرت اليها الوصيفة في امعان ثم قالت :

- ألم يعجبك ؟

قالت سارة :

- لا لم يعجبني .

هند ذلك غمغمت الوصيفة بجملة غير مفهومة ، ثم غادرت الغرفة ا

سألت باسمه :

- ماذا قالت ادبث ؟

اجاب جيري :

- اعتقد أنها قالت « هذا شيء مؤسف » ا

- حقاً يا له من كلام غريب ، ولكن لماذا تأخرت ماما هكذا ؟ لماذا

هي متغيبطة بهذا الشكل ؟

- لا اظن إن والدتك يمكن ان توصف بأنها متغيبطة ا

- لقد كان لطيفاً منك يا جيري ان تحضر لمسابقتي في الحطة ، لاني

اسفة لأنني لم اكتب لك من روبسرا ، كيف نجحت في الخروج من حملك

وسط النهار هكذا ؟

لم يجب جيري في الحال ، فكرر قليلاً ، واخيراً قال متظاهراً بعدم

الأكثرات :

- لم يكن منورحي شيئاً صعباً نظراً للظروف .
اعتدلت في جلستها مجددة ، ونظرت إليه كأنها تقرأ في وجهه ما
يخفيه ، وسألته :

- هيا يا جيري .. اخبرني ماذا حدث ؟
- لم يحدث شيء .. لم تسر الأمور على ما يرام ، هذا كل
ما هنالك .

قالت سارة في لوم :
- لقد وعدتني بأن تكون صبوراً ، وأن تبذل جهدك في العمل ؟

اكفهر وجه جيري وقم :
- اعرف ذلك يا عزيزتي ولكنك لا تستطيعي ان تتصورتي كيف
تسير الأمور في هذا المكتب ، يا إلهي .. فقد عدت إلى الوطن من
جميع الحرب في كوريا متصوراً انني سأجد فردوساً في المجلسات ،
ولكن ما أشد خيبة أمني ، كان الزملاء في كوريا أشخاص مهذبين
على الأقل ، أما مكتب عمي لوك الذي أعمل فيه فهو قفص بارد ،
وعمي لوك نفسه شخص لا يطاق ، شخص سمين ذو عيني خفيفتين مثل
عيني الخنازير ، وهو يتكلم بهذه الطريقة .

ثم شرع جيري بقلد عمه :
« أنا سعيد لمودتك من كوريا يا بني ، أرجو ان تكون قد شعبت من
هذه المغامرات ، وان تستقر في مكنتي وتبدأ حياتك العملية ، هناك
مستقبل باهر لك في مكنتي إذا كنت غلماً ونشطاً ، وستبدأ طبعاً من

القاع . هذا هو شعاري ، لا مجاملات ، تكفيك النزهة التي نعمت بها في كوريا ، والآن إلى العمل في المكتب في جد وحساس .

وزفر جيري في ضيق ثم قال :

— النزهة التي نعمت بها في كوريا .. إنه يسميها نزهة .. ذلك الحظير
الغني ، كم أتقي لو إني أراه أسيراً لأحد الجنود الصليبيين ، هو وهؤلاء
الرأسماليون الرجعيون الذين يجلسون خلف المكاتب الفخمة ، ولا يفعلون
شيئاً أكثر من جمع المال والمال والمال ..

قالت سارة في ضيق :

— أوه .. هدى نفسك يا جيري بحق السماء ، إن عمك رجل بنقصه
الخيال ، هذا كل ما هناك ولا أدري ما يفضيك ، فقد قلت بنفسك
أنك تريد أن تجد وظيفة وأن تدخر مالا .. قد يكون العمل في مكتب
عمك شيئاً بفضاً ، ولكن ليس أمام المضطر أن يختار ، اليس كذلك ؟
يجب أن نحمد حظك لأن لك عماً غنياً في لندن .. كثير من الناس يتمنون
أن يكون لهم حظاً مثل حظك .

صاح جيري :

— ولماذا صار عمي غنياً ؟ لأنه يسبح في الأموال التي كان يجب أن
تؤول اليّ لا اليه ، الأموال التي تركها له جدي ولم يتركها لوالدي
— دعنا من كل هذا .. لو إن جدي ترك المال لوالدك لنفد قبل أن
يصل اليك ، ووجدت نفسك صفر اليدين .

— ولكن هذه ليست عدالة ، يجب أن تعترف بذلك !
انجابت سارة مبتسمة :

.. لا توجد عدالة في هذه الدنيا يا جيري ، وانت تعلم ذلك ، يجب أن تكف عن عادة الشكوى من الظلم ومن سوء الحظ .

قال جيري في امتعاض :

.. انت لا تتعاطفين مع ظروفى ؟

.. لا .. لأنى افضل الصراحة دائما ، اعتقد انك يجب أن تختار واحداً من مرفقين .. إما ان تستقبل من هذا العمل الذي لا تحبه ، وإما أن تبقى فيه وتحصل له بدون تدمير أو شكوى ، بل تسبح بحمد الله ، أفاء الليل وأطراف النهار ، لأنك تعمل في مكتب عمك الذي يشبه الخنزير كما تقول أه .. اعتقد ان ماما قد وصلت .

فتحت آن باب الشقة ، ثم امرعت إلى الداخل وهي تهتف :

- اينتي .. حبيبتي !

صاحت سارة :

- عزيزتي ماما .. اخيرا !

فعانقت الأم والابنة عناقا حارا ، ثم سألت سارة :

.. ماذا حدث لك ؟

قالت الأم وعيناها مغرورتان بالدموع :

- لقد توقفت ساعتى المحقاء .

- لقد وجدت جيري في انتظاري بالحطة .

تنبعت آن إلى وجود جيري ، فتظاهرت بالسرور لرؤيته ، ولو أنها

كانت ترجو ان تكون ابنتها قد نسيته تماما .

ردت الابنة وهي تتأمل امها باعجاب :

- دعيني أنأملك يا ماما .. كم تبدين أنيقة ورشيقة .. هذه قبعة جديدة البس كذلك ؟ ما أجلك يا أمي :

ردت آن في حب

- بل ما أجلك انت يا ابنتي ، وكم لوحت الشمس بشرتك ؟

- شمس النواج هي التي فعلت ذلك ، وأرى إني خيبت أمـل ادبث عندما عدت إلى البيت سليمة ، بدون ذراع مكسورة .. او ساق في الجبس .

ردت الوصيفة التي دخلت تحمل صينية الشاي والبسكويت :

- لقد أحضرت فناجين للجميع ، مع إني أعتقد أن الآنسة سارة والمستر ليولد لن يشريا الشاي لأنهما كما أرى يشربان الجن .

- ما أفظع الطريقة التي تتحدثين بها يا ادبث ، على فكرة يا ماما ، كان هنا صديق في انتظارك . اسمه مستر (لا أدري) . من هو يا ماما ؟

قالت أدبث لأن :

- لقد انهرف مستر كولدفيلد يا سيدتي وقال إنه سوف يحضر غداً حسب الموعد المتفق عليه !

هتفت سارة :

- من هو كولدفيلد هذا ؟ ولماذا يحضر غداً ؟ أنا واثقة إننا لا نريد أن نراه مرة أخرى !

قالت برنتيس بسرعة :

- هلا تناولت كأساً أخرى يا جيري ؟

- شكراً لك يا مسز برنتيس ، في الحقيقة لا بد أن انصرف الآن ،
وداعاً يا سارة

صحبتة سارة إلى باب الشقة ..

سألتها :

- ما رأيك في الذهاب إلى السينما معاً هذا المساء ؟ هناك فيلم جيد
في سينما الأكاديمية .

- هذه فكرة بديمة يا جيري ، ولكنني أعتقد أنه يجب ان اقضي
ليلتي الأولى مع أمي .. سوف تحزن كثيراً إذا رأيته اخرج بمجرد
عودتي ..

- أنت ابنة عظيمة !

- وماما أم عظيمة ايضاً .

- طبعاً .. أعرف ذلك جيداً .

- صحيح إنها تسأل أسئلة كثيرة ، ولكنها عموماً للأمهات أم عاقلة
اسمع يا جيري .. سأبقى مع أمي ، ولكن إذا وجدت الطرف ملائماً
للخروج فسأصل بك ..

وعلى هذا افترقا

* * *

عادت سارة إلى غرفة الاستقبال ، وبدأت تفضم قطعة من
البسكويت ، قالت :

- مسا أبرع اديت في صنع البسكويت .. لا ادري من اين تحصل على
المواد التي تصنعه منها ، والآن يا ماما .. حدثيني بما كنت تفعلين أثناء
غيابي في سويسرا .. هل كنت تخرجين كثيراً مع الكولونيل غرانت ؟
هل قضيت وقتاً طيباً ؟

قالت في تردد :

. لا . نعم .. تقريباً !

نظرت اليها سارة في دهشة وقالت :

- ماما .. هل حدث لك شيء ؟

.. شيء ؟ لا .. لماذا ؟

ضحكت سارة وقالت :

- على وجهك علامات غريبة !

ضحكت آن في عصبية وتتمت :

.. حقاً ؟

قالت سارة وهي تمسك بكتفي أمها :

.. تماماً . هناك شيء .. هيا .. اخبريني . مهما يكن امراً فظيماً

فسوف أتقبله !

افلقت آن من يدي ابنتها ثم ردت في اضطراب :

. لم يحدث شيء يا عزيزتي .. أو على الأقل .. أوه . عزيزتي سارة

يجب أن تتأكدتي إن ذلك لن يحدث تغيراً لما بنيت ، سيبقى كل شيء

كما هو ، فقط !

ثم توقعت الأم عن الحديث عاجزة عن الكلام ، فأنثت لنفسها : يا لي

من جبانة .. لماذا لا أستطيع الحديث مع ابنتي ؟
أما الابنة فلأنها ظلت تحقد في وجه امها ، واخيرا افتر ثمرها عن
البسامة سرور صافية ، هتفت .
- أعتقد .. هيا يا ماما . هل أنت تحاولين التلطف في اخباري
بأنك على وشك الزواج ؟

تنهدت الأم من أعماقها وصاحت :
- اوه .. عزيزتي .. كيف تخنتي ؟
ولكن سارة احتضنتها في وله وردت :
- لم يكن صعبا علي اكتشاف ذلك ، لم أر في حياتي احدا في مثل
هذا المرح ، ماما .. هل تتصورين ان زواجك يضايقي ؟

- هذا حقاً ما تصوره .. ألا يضايقك زواجي ؟
اجابت الابنة في لهجة جادة بدت معها اكبر من سنها :
- لا يضايقي البتة ، اعتقد ان ماما فعلينه هو عين الصواب ، فقد
توفي بابا منذ ستة عشر عاماً .. من حقا ان تتمتع بشيء من الجلس
قبل ان يفوت الأوان ، انت الآن تعلمين ما يسمونه بالسنوات الخطرة ،
والا اهل ان اخلاقك لا تسمح لك بمعلقة غير شرعية !
كانت الأم تنظر إلى ابنتها وهي تشر بمدى عجزها امامها .

قالت سارة تؤكد ما سبق ان قالته :
- نعم يا أمي .. معك انت لا بد ان يكون الأمر زواجاً ؟
ثم أخذت تنظر إلى امها من البين واليسار فاحصة ، قائلة :
- أنت ما والين جميلة ، ذلك لأن بشرتك رقيقة ، ولكن يا ماما

يحسن ان تضي رموشا صناعية .

قالت الأم في حده :

.. انا راضية عن رموشي كما هي ؟

قالت سارة بسرعة :

... اسفة يا ماما . لم اقصد ان اصيب شيئا فبك ، الحقيقة انك رائمة
الجمال ، وأنا مندهشة لأنك لم تتزوجي حق الآن ، من هو الشخص المحظوظ
على فكرة ؟ انتظري .. دعيني أخمن ، لا بد إنه واحد من ثلاثة ..
الكولونيل جرانت ، او البروفيسور جودفري فين ، ار ذاك الصديق
البولندي صاحب الاسم الذي لا يمكن نطقه ، ولكني ارجح انه الكولونيل
جرانت ، فقد كان يطاردك منذ سنوات .

قالت الأم في هدوء .

... ليس الكولونيل جرانت يا ابنتي . إنه ريتشارد كولدفيلد .

... من هو ريتشارد كولدفيلد .. ماما ليس ذلك الرجل الذي كان

هنا بحق السماء ..

أومأت الأم برأسها دون ان تجيب !

.. ولكن .. يا ماما كيف توافقين على الزواج من ذاك الرجل ، إنه

ثقيل الظل !

ردت الأم في صرامة :

... إنه ليس ثقيل الظل ؟

... ولكن يا ماما ، من المؤكد انك تستطيعين العثور على زوج

افضل من هذا

- سارة ، أنت لا تعرفين ماذا تقولين .. أنا .. أنا مشغوفة جداً
بريتشارد كولذفيلد .

أجابت سارة وعلى وجهها علامات عدم التصديق :
- مشغوفة به ؟ هل تعنين أنك تحبينه ؟ تحبينه فعلاً ؟

أومأت آن برأسها .

هزت سارة رأسها وقلقت :

- أنا لا أستطيع ان اتصور هذا !

قالت الأم في لهفة :

- ولكنك رأيت ريتشارد لحظة فقط ، وأنا واثقة أنك ستعجبين به
عندما تعرفينه أكثر .

- إنه يبدو شخص فظ ..

تنهدت وأجابت :

- هذا بسبب خجله الشديد !

ردت سارة ببطء :

- لك ما تشائين يا ماما .. إنها « جنازتك أنت » كما يقول المثل .

صمتت الأم وابنتها للحظات ، وكانت كلتاها لا تدري ماذا تقول .

واخيراً قطعت سارة الصمت قائلة :

- في الحقيقة يا أمي ، انت في حساجة إلى من يهتم بشؤونك ويرشدك

في الحياة .. كدت اتركك ثلاثة أسابيع حتى القيت بنفسك في
هذه الحفافة .

صاحت الأم في استياء شديد :

- سارة .. هذا قول قاس جداً !

- اسفة يا ماما ، ولكنك قمرقبن إني أؤمن بالصراحة المطلقة .

- لا أوافقك على هذا المبدأ ..

قالت الابنة دون ان تتأخر بفضب أمها :

-- منذ متى بدأت هذه الحكاية ؟

ضجعت آن وأجابت :

-- بحق السجا يا ابنتي ، انت تتكلمين كأنك أب محافظ في رواية قديمة

فقد قابلت ريتشارد منذ أسابيع قليلة .

سألت سارة :

- اين كان هذا اللقاء ؟

أجابت برنتيس بصوت خافت :

- في حفل العشاء الذي اقامه الكولونيل جهرانت ، إن ريتشارد عائد

حديثاً من بورما .

-- هل عنده رأس مال ؟

ردت برنتيس ساخرة :

- عنده رأس مال مستقل ، وهو قادر تماماً على إعااتي ، وهو أيضاً

موظف في شركة (اخوان هيلنز) ، وهي شركة كبيرة محترمة ، والآن

كلى يا سارة ، كأنك الأم وأما الابنة .

قالت سارة في جدية لامة :

- قلت لك أنك محتاجة إلى من يرشدك إلى الصواب ، من الواضح

أنك عاجزة تماماً عن العناية بنفسك .. إني أحبك كثيراً ، ولا أريدك

أن ترتكبي حماقة من أي نوع .. وذاك الرجل هل هو اعزب ، أم
مطلق أم ارملة ؟

اجابت آن بتمثل :

- لقد فقد ريتشارد زوجته منذ سنوات ، مساتت المسكينة وهي
تضع طفلها الأول ، ومات الطفل أيضاً .

تنهدت سارة وهزت رأسها قائلة :

- الآن ادرك كيف لنجح في التأثير عليك ، انت تتأخرين دائماً بهذه

القصة الحزينة !

صاحت آن :

- كذاك تخريفاً يا ابنتي ..

استمرت سارة في اسئلتها :

- هل له اخوة ، او اخوات ، او أم ؟

- لا .. لا اعتقد إن له اقرباء على الاطلاق .

قالت سارة ضاحكة :

- هذه حسنة .. هل له منزل . ابن تنوي ان الإقامة ؟

قالت آن بعصبية :

- هنا طبعاً ، المنزل كبير ، وريتشارد عمله في المدينة ، ارجو الا يضايقك

هذا الترتيب يا ابنتي ..

- اوه .. لست انا التي ستتضايق ، إنني افكر فيك

- هذا لطيف منك يا حبيبتي ، ولكن تأكدي انني اعرف صاحبي

تماماً .. انا واثقة إنني وريتشارد سلسعد معاً .

... متى تنويان ان تمعدا الزواج ؟

- في بحر ثلاثة اسابيع ..

هتفت الابنة في ارتياح

- ثلاثة اسابيع ؟ اوه .. هذه مدة قصيرة جداً ، لا يمكن ان نتزوجا

بهذه السرعة .

- لا ارى حكمة في الانتظار .

ردت سارة متوسلة :

- أرجوك يا أمي ، أجلي عقد هذا الزواج قليلاً .. امنحيني بعض

الوقت كي . كي أقعود على هذا التفسير . أرجوك .. أرجوك

يا ماما ..

قالت برنتيس في ضيق :

- لا أدري .. سوف نرى .

- شهر ونصف مثلاً . شهر ونصف على الأقل !

- إننا لم نحدد تاريخاً للزواج ، على العموم ريتشارد سيتغذى معنا

خداً .. سارة أرجو أن تكوني لطيفة معه ..

- طبعاً يا ماما . ماذا تظنين في ؟

قالت برنتيس في ارتياح :

- شكراً لك يا عزيزتي !

- ابتسمي بالله يا ماما .. لا داعي للقلق بخصوص أي شيء ..

قالت برنتيس في غير اقتناع :

... أنا واثقة إنك وريتشارد ستسجيان معاً

لم ترد سارة بشيء .

قالت آن في غيظ مكثوم :

- تستطيعين على الأقل ان تحاولي ؟

ردت سارة بعد تردد أصغر :

- قلت لك انه لا موجب للقلق ، مامسا هل تحبين أن أبقي معك

هذا المساء ؟

- لماذا ؟ هل تريدني الخروج ؟

- كنت افكر بالخروج ، ولكنني اكره أن اتركك بمفردك ..

ابتسمت برنتيس ، وهي تشمر بالرابطة القديمة بينها وبين ابنتها

ثمود .. قالت .

- أوه ..

ثم قالت :

- أوه .. لن أكون وحيدة .. في الواقع لقد دعني لورا ويستابل

إلى الاستماع إلى محاضرة لها

لم يكن في نية برنتيس ان تشهد المحاضرة من قبل .

وكانت تستطيع أن تتصل بريتشارد كولدفيلك وتخرج معه ،

ولكنها خجلت في أحماقها من هذه الفكرة وكأنها ترتكب إثمًا .

لده من الأفضل أن تنتظر حتى يتم لقاء ريتشارد بابنتها سارة

في الغد ..

قالت سارة :

- حسنًا .. اذهبي انت إلى لورا ، يا امي .. وسوف اتصل

يجيري تليفونيا ..

... أوه .. هل هو جيري الذي تنوين الخروج معه ؟

قالت سارة في تحد :

-- نعم .. لم لا ؟

ولكن برنتيس لم تواجه التحدي ، وقالت في تحاذل :

- كنت أنساها .. هذا كل ما في الأمر ؟

الفصل السابع

جيري ليولد

- ١ -

... جيري ..

- نعم يا سارة .

- جيري .. أألا أشعر برغبة في مشاهدة هذا الفيلم ، هلا ذهبنا إلى

مكان آخر لنجلس ونتحدث ؟

- طبعاً يا عزيزتي ، هل نذهب لتناول طعامنا أولاً ؟

- لا .. لا استطيع ، فقد انخمتني ادبث بالطعام قبل خروجي

- دعينا إذاً نذهب للشرب شيئاً .

راختلس منها جيري نظرة سريعة ليري ما يزعجها ، ولكن سارة

لم تتكلم إلا بعد ان جلسا معاً في مكان ماديء ، وأمسامها كأسان

مليشات بالشراب .

- جيري .. ماما سنكزوج مرة ثانية .

قال جيري في دمهشة حقيقية :

- يا إلهي .. ألم يكن عندك فكرة من قبل عن هذا الموضوع ؟

- كيف كان لي أن أعلم ؟ فقد قابلته .. ماما بعد سفري إلى

سويسرا .

- غرام خاطف إذا .

- خاطف أكثر مما ينبغي ، أعتقد ان ماما فقدت صوابها .

- من هو الزوج المرتقب ؟

- ذاك الرجل الذي كان في المنزل ساعة وصولي .. لا اذكر اسمه

على التحديد !

- آه .. ذاك الرجل !

- نعم ألا ترى معي يا جيري انه رجل مقيت للغاية ؟

- لم التقي بالأية في الواقع ، ولكنه بدا لي شخصاً عادياً جداً !

قالت سارة في عناد :

- إنه لا يناسب ماما على الإطلاق .

- ليست هي خير من يحكم على هذا ؟

- لا .. ليست هي خير من يحكم على هذا .. ماما السانة ضعيفة ،

إنها تتألم من اجل الناس ، إنها بحاجة إلى من يرشدها إلى الصواب .

قال جيري ضاحكاً .

- اعتقد إنها توافقك على هذا ، وإنها اختارت الذي يرشدها إلى

الصواب .

.. لا تضعك يا جيري . الموضوع خطير جداً . ذلك الرجل
غير جدير بماما .

رد جيري بعدم اكتراث .

.. هذا شأنها هي ؟

.. لا . يجب ان اشرف على شؤونها . أنا اعرف الحياة اكثر مما
تعرفها هي ، وأنا افوقها في قوة الشكيمة .

فكر جيري برهة ثم قال .

.. على كل حال ، إذا كانت امك مصممة على الزواج !

قاطعته بسرعة :

.. أوه . أنا لا اعترض على ذلك ، ماما يجب ان نخرج بمجدداً ،
هذا شيء ، لا شك فيه ، فقد عانت سنوات من الحرمان الجنسي ، ولكنها
قطعا يجب ان تختار زوجا غير ذاك الرجل البغيض ؟

.. الا نظنين انها

ثم توقف عن الكلام .

قالت سارة تستعشقه على الكلام

.. الا اظن ماذا ؟

قال جيري في عدم اكتراث .

.. الا نظنين لذلك ايضا قد تشعرين بمثل ذاك الشعور نحو شخص ما ؟
مهما يكن قالت لا تستطيعين ان تقطعي بأن ذاك الرجل لا يناسب
والدتك . انت لم تبادلبيه اكثر من كلمتين ، اليس من الجائز ان سبب

سخطك عليه هو انك .

ثم توقف لحظات قبل ان يستجمع شجاعته ويقول .

- انك غيورة ؟

صاحت سارة :

- غيورة ؟ أنا ؟ تعني إني لا أريد ان يكون لي زوج أم ؟ يا عزيزي

جيري المسكين ، ألم أقل لك مراراً من قبل ، انني اشعر بأن ماما يجب أن

تزوج من جديد ؟

- نعم .. ولكن هناك فرق بين الكلام ، وبين الواقع .

قالت سارة باصرار :

- أنا لست صاحبة طبيعة غيورة ، كل ما يعني هو ان احافظ على

سعادة امي وهناها !

قال جيري في حدة مفاجئة :

- لو كنت مكانك لما حاولت اللعب بحياة الناس .

- ولكنها امي !

- نعم . ولكن لعلها تعلم ما يريد فعله .

- امي ضعيفة الشخصية ، سهلة الانقياد .

- على كل حال ليس هناك شيء تستطيعين ان تفعليه .

ثم صمت جيري وهو يفكر ان سارة مزعجة من اجل لا شيء ، وإنما

تصنع ضجة بدون مبرر ، فضلاً عن إنه كان قد بدأ يشعر بالضجر

من الحديث عن مسز برنتيس ومتاعبها . كان يريد ان يتحدث

عن نفسه .

قال فجاء :

- انا افكر بالاستقالة ؟

هتفت سارة :

- الاستقالة من العمل في مكتب عمك ؟ اوه .. جيري !

- لم اعد استطيع ان التحمل ، لا نستطيع ان نتصورى الضجة التي يحدثها عمي كلما تأخرت ربع ساعة في الصباح .

- ولكن هذا عمل في مكتب يا جيري ، يجب ان تحافظ على

المواعيد ..

- إنه مكتب لعين ، لا احد يفكر فيه إلا في المال .. المال فقط ،

مباحا وظهرأ وليلا .

- ولكن إذا تركت هذا المكتب يا جيري ، فهاذا تستطيع

ان تفعل ؟

قال بثقة غريبة :

- سوف اجد عملا ما .. عملا يناسب مواهي !

قالت في شك :

- ولكنك حاولت كثيراً من قبل يا جيري ، ولم تنجح .

- نقصدين إلي انمرض للفصل في كل مرة ؟ حسنا .. لن انتظر الفصل

هذه المرة ، سأستقيل .

قالت في حزن :

- هل أنت راضى من تفكيرك ؟ مهما يكن ، فالدير هو عمك وهو

رجل مليونير !

قال جيري ساخرأ .

- راجدا أحسنت التصرف فإنه قد يترك لي قهوة ؟ اليس كذلك ،
ما تفصدينه ؟

- حسناً . طالما سمعناك تشكو من أن جدي ، ماذا كان اسمه ، لم
يترك القهوة لوالدك .

- لو كان جدي رجلاً عميق الاحساس بالروابط العائلية ، لترك
نصف قوته على الأقل لوالدي ، وما كنت لأتعرض لهذه الاهانات .
والانتقال من وظيفة إلى وظيفة ، هذه هي الحقيقة ، إن هذا البلد بلد
حقير وأنا افكر في الهجرة

- تهاجر ؟ إلى أين ؟

قال في شبرود :

- لا أدري ، إلى أي مكان يكون فيه الناس أكثر انسانية

ثم صمت الاثنان وهما يتصوران ذاك البلد الذي يكون فيه الناس
أكثر انسانية .

ولما كانت سارة عملية أكثر من جيري ، فإنها هبطت بسرعة من
سماء الخيال إلى أرض الواقع .

- هل تستطيع أن تقوم بأي شيء بدون رأسمال ؟ هل عندك
رأسمال ؟

- ولا بلنس أنت تعرفين هذا جيداً ، ولكن لا بد أن هناك
يمكن القيام به بدون رأسمال .

- دعنا من رأسمال ، ما هي مواهبك على التحديد .

فكر جيري لحظة وأخذ يستعرض مواهبه المزعومة ، فلم يجد شيئاً
قال في ضيق .

هل يجب أن تشبطني معي بهذا الشكل ؟

— أنا اسفة . ولكي أفصد إنك لا تتقن أي حرفة !

— عندي مواهب طبيعية في الرثامة ، وفي الحياطة الظليقة ، في
الأماكن الخاوية .

تنهدت سارة وقامت :

— أوه . جيري !

— ما بك ؟

— لا أدري ، الحياة تبدو معقدة للغاية ، فقد غيرت الحروب المتتالية
الأمر كثيراً .

وافقها جيري في إعماقه ، ورائت على الاثنين مصحابة من الكعكة
والحزب

وبعد برهة تتم : إنه سوف يشنازل ويعطي مع فرصة أخرى
لاصلاح الأمور ..

صفت سارة لهذا القرار ثم قالت :

— أعتقد أنه يحسن أن اعود إلى البيت الآن ، لا شك أن مسامحة
عادت من المحاضرة .

— ماذا كان موضوع المحاضرة ؟

— أعتقد إن عنوانها هو (ما هو مصير البشر ؟ ولماذا ؟) ، شيء
مثل هذا .

ثم نهضت وقالت :

شكراً لك ياسيري ، فقد ساعدتني كثيراً .

رد واعظاً :

... حاولي ان قلمي موفف امك ياسارة ، إذا كانت امك ذلك

الشخص ، وتمتد أنها ستسعد منه فهذا هو المهم .

... نعم . إذا كانت ماما سوف تسعد منه ، فهذا هو المهم .

وعلى العموم فستزوجين يوماً ما !

قال ذلك وتحاشى أن ينظر إليها ..

اما سارة فإنها تشاغل بالانظر إلى حقيبتها .

لمنعت :

... نعم . يوماً ما ربما ، لست منظمه الآن !

ولكن سعابة من عواطف الشباب الحساسة حلقت فوقها وأفعمت

وجدانيها بشهور دافئ سعيد .

* * *

- ٢ -

شعرت آن بارتياح عميق اثناء تناول الغذاء في اليوم التالي ..
كانت سارة تتصرف بشكل بديع ، وكانت تتحدث مع ريتشارد
بشكل طبيعي ، لا تكلف فيه ..
وشعرت آن بالفخر لأن هذه الشابة الجميلة ابنتها ، بوجهها الجميل
وأدبها الجم .
وتهدت من الأعماق ، كان يجب ان تعلم إنها تستطيع ان تعتمد على
ابنتها . نعم ، بما كانت ابنتها لتعدها .

شيء واحد كان ينقص صفو آن . ريتشارد ..
كان يتصرف في عصبية ، وكان يحاول ان يبدو طبيعياً .. ولكن
محاولاته هذه كانت تزيد في عصبية ، ورغما عنه كان يبدو مغروراً
متعاطفاً ، بل إن بساطة سارة ، وبساطة تصرفاتها كانت تزيد عصبية
واضطرابه ، وتظهر الفرق الشديد بين سلوكه وسلوكها .

وكانت آن تتألم لحالته لأنها تعلم جيداً إنه انسان طيب بسيط .
وكانت سارة ترى اسوأ جانب في ريتشارد بمكس ما كانت تروى
آب ، وهذا في حد ذاته كان يضايقها ويجعلها عصبية ايضاً مما زاد
في ازعاج ريتشارد .

وبعد انتهاء الغذاء وجلس الثلاثة لشرب القهوة ، تظاهرت برنتيس برغبتها في أن تتكلم بالتليفون ، وحركت الاثنين معاً ..

كانت تأمل ان يتمكن ريتشارد وسارة من الوصول إلى قفاهم ، بدون وجودها.

أما سارة فلأنها قدمت فنجان القهوة إلى ريتشارد في احترام ، ثم جلست تشرب فنجانها ، وشرع ريتشارد بشرب قهوته وهو يتأمل سارة في حيرة .

لم تكن اظهرت اي عداوة نحو حق الآن ، ولكنها ايضاً لم تكن اظهرت أي اهتمام به .. كان قد تمرن في منزله على ما سيقوله لها . كان ينوي ان يقول لها انه يفهم موقفها جيداً ويعطف عليها .

وانتهى من شرب القهوة ، ثم بدأ ينفذ خطته ببساطة مفتعلة جعلت الكلام يقف في حلقه قال :

- اسمعي ابنتي الشابة .. هناك امر او اثنان اريد ان تحدث معك فيها ..

ف نظرت اليه سارة بوجه شال من اي تعبير .. وقالت في عدم كثرات :

- حقاً ؟

- اريدك ان تعرفي إلي افهم مشاعرك جيداً .. لا بد ان الأمر كله كان صدمة لك ، فقد كنت تعيشين مع امك منذ طفولتك دون وجود شخص غريب ، ومن الطبيعي جداً انك تكرهين أي شخص غريب يدخل بينكما . ومن الطبيعي ايضاً ان تشعري بمرارة وبشيء

من الغيرة

قالت في لطف طبيعي :

تأكد إني لا اشعر بشيء من ذلك قط ؟

كان ذلك انذاراً ، ولكن ريتشارد لم ينتبه اليه .

قال مشابها على خطته :

- كما كنت أقول ذلك شيء طبيعي جدا .. انا لا اريد منك ان تحبيني توا ، مجرد إني سوف اصبح زوج امك . سأوقع منك ان تكوني باردة لمحوي طالما تشائين ، وحين تنرين ان تديني الثلج الذي يبلسا سوف تجديني في انتظارك بأذرع مفتوحة ، المهم أن تفكري في سعادة امك ا

قالت سارة بلهجة ذات مغزى :

- هذا ما افكر فيه فعلا ا

- وفكري في مدى ما قامت به أمك من أجلك ، وفكري ايضا انه قد حان دورك لتعدي لها الجليل .. أنا واثق إنك تريد سعادتها ، ويجب ان تذكرني انك سوف تزوجين يوما وتهجرينها . ايضا لك أصدقاؤك واحلامك الخاصة ومطامحك الخاصة ، فإذا هجرت امك ولم تكن متزوجة فإنها ستكون وحيدة في هذه الدنيا ، لذا يجب ان تضعي في اعتبارك تقديم مصلحة والدتك على مصلحتك .

ثم توقف ريتشارد عن الكلام متصورا إنه احسن الادلاء بكل مسا كان يريد أن يقوله ..

ولكن سارة فاجأت مشاعره السعيدة هذه . بأن سألتها في

أدب :

- هل تلقي كثيرا من الخطب العامة ؟

رد. متدهشا دون ان يفهم مرمى كلامها :

- لماذا ؟

- لأنك تنجح في الخطابة بكل تأكيد .

أدرك ريتشارد مغزى كلامها الجارح ، ونظر اليها في غيظ مكبوت
كانت مضطجعة بارتياح ، تنأمل اظافرها الحمراء القسائية ، وأضاف ذلك
اللون الأحمر غيظا فوق غيظ ريتشارد .

تمالك اعصابه بصعوبة بالغة ، ورد محاولا التظاهر بالمرح :

- لمعني اطلت عليك الحديث وشجرتك ، ولكني اردت ان الفت
نظرك إلى بعض الأمور التي قد لا ترفينها ، واحب ان اؤكد لك ان
حب امك لن يقل بسبب زواجها مني .

- حقا ؟ ما اكرمك حين تخبرني بذلك ..

لم يعد هناك شك الآن .. هذا عداء صريح ..

ما العمل ؟

لو ان ريتشارد كف عن تثنيه ..

لو أنه قال ببساطة وصدق ..

أنا فاشل تماما يا سارة ، انا خجول وتمس ، وهذا يجعلني اقول أسوأ
الأقوال ، ولكني أعبد آن .. وارجو أنت تحبيني يا سارة كي تسير
الأمور على ما يرام .. كان ذلك جديرا بأن يميل اليه قلبها ، لأنها في

الواقع فتاة ذات قلب كريم .

ولكن كبرياءه رفضت هذا الاذلال ..

قال مجدة :

.. إن شباب هذا الجيل مليء بالأنانية ، ولا يفكرون إلا في أنفسهم .. يجب أن تفكري في سعادة أمك أيتها الفتاة .. من حقها أن تعيش ، ومن حقها أن تكون سعيدة .. إنها محتاجة إلى من يرعاها ويهتم بها .

رفعت البه سارة عينيهما ونظرت اليه نظرة قاسية ..

قالت على غير المتوقع :

- أوافقك تماماً على ما تقول ..

وفي هذه اللحظة دخلت برنتيس الغرفة !

سألت : هل ما يزال هناك قهوة لي ؟

صبت سارة قهوة في قنجان ثالث وقدمت الفنجان إلى أمها

. ها هي القهوة يا ماما ، فقد عدت في اللحظة المناسبة بعد أن

انتهينا من حديثنا ..

خرجت سارة من الغرفة ، ونظرت آن إلى ريتشارد ..

كان وجهه محتفناً ..

- لقد قررت ابنتك أن تكرهني .

ردت برنتيس :

- يجب أن تكون صبوراً معها يا ريتشارد أرجوك .

تقم بصبر :

- لا تقلقي يا عزيزتي . أنا أنوي أن اكون صبوراً معها .

- أنت تدرك طبيعاً إن هذا الزواج جاء مفاجأة لها ..

-- طبيعاً ..

قالت آن :

- إن ابنتي في الواقع شابة كريهة المواقف نقية القلب .

لم يجب ريتشارد بشيء ..

كان رأيه في سارة أنها فتاة بشعة الأخلاق ، ولكنه لم يجرؤ أن

يبوح برأيه لأُمها ..

قال :

- سوف يسير كل شيء على ما يرام .

قالت آن بتمهل :

- أنا واثقة من ذلك .. نحن محتاجان فقط للوقت !

كان كلامها تمساً ، ولم يدر أحدهما ماذا يقول بعد ذلك .



- ٣ -

وصلت سارة إلى غرفتها وعيناهما مفرورقتان بالدموع لفرط الجهد
النفسي الذي بذلته أثناء حديثها مع ريتشارد

فتحت الدولاب وأخرجت بعض الملابس ونظرت على السرير وأخذت
قلبا بين يديها وهي لا تراها .

دخلت أدبث الغرفة وبمنظرة واحدة أدركت حالتها ..

قالت سارة وهي تحاول أن تكتم دموعها :

- إنني انفعص ثيابي .. لعل بعضها يحتاج إلى تنظيف ..

أو ترقيع !

قالت أدبث :

- لا داعي لذلك ، إنني أشرف على كل شيء !

لم تجب سارة ، فقد منعتها دموعها عن الكلام .

قالت أدبث في عطف :

- لا يجب أن تتألمي هكذا .

صاحت سارة :

- إنه رجل فظ ومعت .. كيف تستطيع مساما أن تحب ذلك

الشخص ؟ أوه .. لقد تحطم كل شيء ، انهار كل شيء .. لن يعود أي
شيء كما كان .

ردت ادبث :

... لا لا يا مس سارة .. لا يجب أن تعجبي نفسك إلى هذا الحد ،
ما لا يمكن هدمه يجب التسلم به

ضجكت سارة في مستيرية وصاحت :

.. دعيني بمفردي يا أدبث .. دعيني بمفردي ا

خرجت ادبث وأغلقت الباب خلفها .

أما سارة فإنها دفنت رأسها في السرير وانخرطت تبكي في حرقلة
كانها طفلة صغيرة .

كان الأسمى يملؤها ويمزق جوارحها ، لم تكن ترى ضوءاً أمامها
في أي اتجاه ..

بككت وهي تنأوه :

- أوه .. ماما .. ماما ..

الفصل الثامن

اشجار البرتقال

- ١ -

-- أو .. لورا .. ما اسعدني برؤياك .
جلست لورا ويتستابل أمام صديقتها آن في ارتياح ..
ثم قالت .
-- حسناً يا عزيزتي . كيف تجري الأحوال الآن ؟
فنهدت آن وقالت .
- أخشوا أن ابنتي قد أصبحت صعبة المراس كثيراً !
- ولكنك كنت تتوقعين هذا ، اليس كذلك ؟
كانت لورا تتكلم بمرح . ولكنها تنظر إلى صديقتها بعطف
شديد . سألت

.. انت تبدين ممثلة الصعبة ..
- أعرف ذلك . أنا لا أألم جيداً واصاب بنوبات صداع من وقت لآخر !

.. لا يجب أن تتأفري إلى هذا الحد .
- من السهل أن تقول هذا .. انت لا تتصورى مدى العذاب الذي اقايسه ، مما تمر لحظة يتقابل فيها ريتشارد وابنتي حتى يدب الخلاف بينهما ؟

- إن ابنتك غيرة طبعاً
- اعتقد أن ذلك هو السبب .

- كما قلت لك من قبل ، إنك كنت تتوقعين هذا . إن ابنتك مما تزال في فترة المراهقة ، وجميع الشابات في مثل سنها يكرهن أن ينصرف اهتمام أمهاتهن إلى أحد غيرهن . كان لا بد أن تؤهلي نفسك لتقبل هذا ..

- إن تصرفات ابنتي مفاجأة فامة لي .. ولكن المفاجأة الحقيقية هي تصرفات ريتشارد ، إنه يغاز من ابنتي .

- سبب ذلك إنه رجل ضعيف الثقة في نفسه .. فلو كان واثقاً من نفسه لضحك من تصرفاتها . وطلب منها ان تذهب إلى الشيطان مسحت برنتيس جيبيها المرهق وقالت :

- أنا أعيش في جحيم يا لورا . إن ابنتي وريتشارد يتشاجران لأتفه الأسباب ، ثم ينظران إليّ ليربا إلى أى جانب المحاز .. سألتها لورا .

- وإلى أي جانب تمنعنا ؟
- انحاز إلى أي جانب طالما كان ذلك في امكاني ، ولكن أحياناً ..
توقفت برنتيس عن الكلام ..
فقال لورا تستمع لها :
- نعم يا ابنتي ؟
- إن ابنتي ، تعالج موقفها مع ريتشارد .. بشكل اذكى من
معالجته له ..

- ماذا تمنين ؟
- ابنتي تتصرف دائماً في أدب ، ولكنها تعلم ما تفعل كي تثير
ريتشارد .. إنها تعذبه تعذيباً بطيئاً .. ربه ، لماذا لا يحب كلامها
الأخر ؟
- لأن هناك عداء طبيعياً بينهما ، بين الابنة وزوج الأم ، أم تظنين
ان الأمر غير ذلك ؟
- أخشى انك على صواب يا لورا ..
- ما هي الخلافات التي تنشأ بينهما عادة ؟

ردت برنتيس بعصبية :
.. اتفه الخلافات . مثلاً ، انك تذكرين إنني غيرت وضع الأثاث
في غرفة الاستقبال ، ولكن سارة أعادت كل شيء إلى مكانه بعد
عودتها من سوريسرا ..
وذات يوم أعلن ريتشارد فجأة ان له رأياً اخر في وضع الأثاث .
قال . (اعتقد انك كنت تفضلين ان يكون مكان المكتب في

الناحية الأخرى يا ان ، اليس كذلك ؟) .. قلت . (كان ذلك لأنني اعتقدت انه يعمل الغرفة اكثر اتساعاً) .. وعند ذلك قالت سارة : (ولكني أحب ان يظل المكتب في مكانه هذا) ..

فقال ريتشارد في لهجة غليظة : (ليس الأمر هو ما تحبين وما تكرهين يا سارة . المهم هو ما تحبه امك ، وسأعيد المكتب إلى مكانه في الحال) . ثم قام حقاً وأعاد المكتب إلى موضعه ، ثم قال لي وهو يلثم : (اليس هذا ما تفضليته يا ان ؟) ، فأجبتته بالإيجاب رغمًا عني ، فتحول عني إلى سارة وقال بنبهة تشف : (هل عندك اعتراض يا سارة ؟

فنظرت إليه سارة بهدوء وقالت في أدب : (طبعاً لا .. ولا أهمية لرأيي) .

وفي الحق يا لورا ، بالرغم من اني كنت أساند ريتشارد ، إلا انني شعرت بالأسى من اجل سارة ، إنها تحب المنزل والآثاث ، وتكره ان يلم التغيير بشيء في المنزل ، اما ريتشارد فإنه لا يفهم مشاعر ابنتي إطلاقاً . رباه ، اني لا ادري ماذا افعل .. لورا .. هل تمتعدين ان الأمور ستتحسن ؟

— لا يجب ان تعتقدي اماناً كاذبة ا

ردت برئيس في عتاب :

— ما أقصاك يا لورا ا

— ذلك افضل من التعلق بأوهام ..

— الا يشفق ريتشارد وسارة علي ؟ اني اصبحت فعلاً مريضة ا

- لا فائدة ايضاً في الاشفاق على نفسك ..
- ولكنني تمسّ جداً ..
- وهما ايضاً تميسان يا برنتيس . وجهي اشفاقك لحوهما .
- تأوهت برنتيس واجابت :
- يا لحي .. ما كنت اسعدنا ، ريتشارد وانا قبل هودة سارة ..
- رفعت لورا حاجبيها قليلاً ، ثم صمنت لحظة ..
- وأخيراً قالت :
- ما الموعد الذي حددناه للزواج ؟
- الثالث عشر من مارس ..
- بعد أسبوعين إذا ، لماذا اجلنا الموعد ؟
- لقد توسلت سارة اليّ بحجة أنها تريد أن تعود على هذا الوضع الجديد ، فلم يعني إلا أن أوافق على رجائها .
- هي ابنتك إذا . وريتشارد . هل أزعجه التأجيل ؟
- اجابت برنتيس :
- طبعاً . فقد غضب جداً واتهمني بأنني أدلل ابنتي أكثر مما ينبغي ،
- لورا .. هل أنا حقاً افسدت سارة بتدليلي لها ؟
- لا أعتقد ذلك ، فبالرغم من حبك الشديد لابنتك ، فأنت لم تفسدنا .. وعلى العموم ، فإن سارة كانت دائماً شابة حسنة التصرف .
- قالت برنتيس بعد تفكير :

— هل تعتدين إني يجب أن ..

ثم توقفت عن الكلام ..

— يجب ماذا يا آن ؟

— أوه . لا شيء . ولكفي أشعر أحياناً باني سأنتار أمام ما أفاسيه

من تصرفات سارة وريتشارد ..

وفي هذه اللحظة سمعت الصديقتين صوت الباب الخارجي وهو يفتح

ثم صوت خطوات سارة السريعة قادمة نحوها

دخلت سارة الغرفة وتللت اساريرها عند رؤية مس ويتستابل ،

فجرت نحوها وقبلتها . ثم قالت :

— اوه . لورا . لم اكن أعلم أنك هنا !

ردت ويتستابل بإسمة :

— وكيف حال إبنتي في العهد ؟

قالت سارة في بساطة :

— أنا بخير ، شكراً !

نهضت برنيس وخرجت من الغرفة ، وهي تغمغم جملة عن شيء

يريد أن تفعله ، وتابعتها اينتها بنظراتها ؟ ثم نظرت إلى ويتستابل

واحر وجهمها

قالت ويتستابل :

— نعم . لقد كانت امك تبكي منذ قليل .

— لست أنا المألومة على ذلك !

— حقاً ؟ اسمعي يا سارة .. هل تحبين امك ؟

- أنا اعبد ماما .. أنت تعملين ذلك !

- إذا . لماذا تعملين على تماسها ؟

ردت سارة :

- ولكنني لا أعمل على تماسها .. أنا لا أفعل شيئاً على الإطلاق .

- أنت تتشاجرين مع ريتشارد ؟ ليس كذلك ؟

قالت سارة بسخرية :

- أه . هذا . ولكن هذا شيء لا يمكن تجنبه . هذا الشخص

مقيت .. لو ان ماما تحققت من مدى ثقل ظله ، اعتقد على العموم انها

ستكتشف ذلك عاجلاً ام آجلاً !

- أيجب أن تخططتي حياة الآخرين بدلاً منهم يا عزيزتي ؟ كانت

المعتاد أن الآباء هم الذين يخططون حياة أبنائهم وليس العكس

قامت سارة وجلست على مسند المقعد الذي تجلس عليه لورا ، ثم

قالت بلهجة من بدلي بسر :

- ولكنني قلقة جداً على ماما ، انا واثقة انها لن تكون سعيدة

مع هذا الشخص .

قالت ويتستاهل :

- هذا ليس شأنك .

- ولكنني قلقة رغماً عني ، أنا لا اريد ان ارى امي شقية قط ،

إن ماما ضعيفة الارادة وفي حاجة إلى من يرعاها .

تناولت لورا يدي سارة بين يديها وضغطت عليها بشدة ، ثم تحدثت

بصوت هادئ، خطير :

- اسمي يا عزيزتي ، نصيحتي اليك أن تسأخذي حذرَكَ .. خذي حذرَكَ .

.. ماذا تعنين ؟

ردت لورا وهي تضغط كلماتها بقوة :

- خذي حذرَكَ من أن تسببي في ان تقدم أمك على شيء تندم عليه طوال حياتها ، إني أحذرَكَ .. إني أشم شيئاً في الهواء .. أشم رائحة ، ضحية بشرية تقدم قرباناً .. وأنا لا احب القرابين البشرية .

وقبل أن تجيب سارة بشيء دخلت ادبث الغرفة ..

ثم قالت :

- لقد حضر مستر ليولد !

قفزت سارة في سرور وهتفت :

- جيـري .. تعال .. هذه هي لورا ويتسابل امي في العباد ..

هذا هو جيـري ليولد !

تصافح الاثنان ..

ثم قال جيـري لورا :

.. لقد سمعتك بالأمس في الراديو يا سديتي ، كنت تقدمين حلقة من برنامجك الممتع « كيف تعيش اليوم » وتساءلت به كثيراً . يبدو انك تعرفين اجوبة عن كل الأسئلة التي تطوف بذهن الانسان !

وردت ضاحكة :

- من السهل دائماً ان يصف الانسان طريقة صنع الكعكة ، ولكن
ليس من السهل ان يصنعها ، انا اعرف ان برناجي ممل ، وإن الناس
يضجرون منه يوماً بعد يوم .

هتفت سارة :

- لا تقولي هذا يا لورا ..

ردت ويستاهل :

- ولكنني أعني ما اقول يا طفلي ، فقد وصات إلى المرحلة التي
تحولت فيها إلى واعظة ، وهذه خطيئة لا تغتفر ، والآن سأترككما معاً
وأذهب للبحث عن امك !

*

- ٢ -

ما ان خرجت وبستابل من الغرفة حتى صاح جيري :

- سوف اغادر المحلات يا سارة .

نظرت اليه سارة في دهشة وقالت :

- أوه جيري .. متى ؟

قال بفرح :

-- الخيس القادم .

- إلى أين ؟

- إلى جنوب إفريقيا !

صاحت سارة :

- ولكنكم بعيدة جدا ، ولن تعود منها قبل سنوات ..

وسنوات ..

قال في خيلاء :

- ربما !

- وماذا تنوي ان تفعل في جنوب إفريقيا .

- سأزرع البرتقال ، معي زميلان اخران ، وانا والى سوف نقضي

وقتنا متمسكا ..

- أوه .. جيري ، هل لا بد من ذهابك ؟
- لقد ضقت ذرعاً بهذا البلد الذي لا يقدر المواهب ، البلد يكرهني
وإن أبادله كرهماً بكره .
... وماذا عن عمك ..
- أوه .. نحن متخصصان منذ فترة ، أما زوجته لينسا فقد كانت
لطيفة محبة للغاية ، أعطتني مبلغاً من المال ، ودواء الدخات الأفاعي .
- ولكن هل عندك أي خبرة بزراعة البرتقال ؟
- لا أعرف حق شكل شجرة البرتقال ، ولكن نظراً لذكائي وموهبي
فسأتعلم بسرعة .
تنهدت سارة وقالت :
.. سأفتقدك كثيراً يا جيري .
تجنب جيري النظر إليها ثم قال :
- أعتقد إنك ستستسيني بعد فترة ، البعيد عن العين بعيد عن القلب .
- ليس دائماً يا جيري .
نظر إليها بسرعة وقال :
- أحقاً يا سارة ؟
نظرت إليه سارة بتأثر ولم تجب ..
قال في اضطراب :
.. لقد استمتعتنا معاً كثيراً ، اليس كذلك ؟
- نعم ..
على فكرة الناس يربحون كثيراً من زراعة البرتقال .

- أعتقد ذلك !

قال جيري وهو يختار كلماته بعناية :

- أعتقد أن الحياة هناك أيضاً تناسب النساء .. المناخ ممتاز ،

والخدم كثيرون

- نعم ..

ولكن لا بد أنك ستزوجين قريباً ..

هزت رأسها وقالت :

- لا لا .. الزواج المبكر خطأ فادح ، لا أعتقد اني سأزوج قبل

سنوات وسنوات .

قال جيري في تشاؤم :

- هذا ما تظنينه ، ولكن سيظهر لك ثعلب من هنا أو هناك

ويجعلك تغيرين رأيك .

قالت سارة في تأكيد :

- إنني ذات طبيعة باردة .

وقف الاثنان في ارتباك وهما يتعاشيان النظر أحدهما إلى الآخر .

واخيراً قال في نبرات مضمضمة :

- عزيزتي سارة .. أنا مجنون بك ، هل تعرفين ذلك ؟

- حقاً ..

ودون أن يشعر كلاهما اقتربا حتى تلاحقا وتبادلا قبلة حارة . وكان

جيري يتمجج في نفسه مما يجده من حرج أمام سارة ، وهو الذي خالط

الكثيرات من النساء

ولكن سارة لم تكن مثل كل النساء ..
كانت عزيزته سارة ..

قالت سارة :

- جيدي .

-- سارة ..

ثم تبادلًا قبلة ثانية !

قال جيدي في رجاء :

- لن تلمسيني يا سارة ، اليس كذلك ؟

أجابته بإخلاص :

- لن أنساك !

- هل تكتنين إلي ؟

- الحقيقة إلي كسولة فيما يتعلق بكتابة الخطابات .

- ولكنني أرجوك أن تكتني ، سوف أشعر بوحدة فائقة ..

ابتعدت عنه قليلاً ..

ثم ضحكت مرعجة قائلة :

- لن أشعر بوحدة فائقة ، سوف تجد عشرات الفتيات هناك .

- على فرض وجود هذه الفتيات فسوف يكن تقييدات الظلم ،

صدقيني يا عزيزتي ، لن يكون حولي إلا أشجار البرتقال .

- حبذا لو أرسلت لي صندوقاً من البرتقال من وقت لآخر .

قال في حراره :

- طبعاً ، سوف أقفل ذلك ، اوه .. سارة إني أقفل المستحيل
من أجلك .

- حسناً .. هذا فصل الخطاب ، اشتغل في جد حتى تصبح زارع
برققال ناجح !

- أقسم لك إني سأبذل كل جهدي .
تنهدت ثم قالت :

- كنت أرجو لو أنك لم تكن ترحل بهذه السرعة ، كان يسعدني أن
أجدهم يمانني فتبادل الأفكار والآراء .

- كيف حال كولدفيك ، هل أصبحت تلاحقني إليه

- لا .. نحن لا نكف عن الشجار .

ثم أضافت في نبرة انتصار :

- ولكنني أشعر إني سأنتصر !

فنظر إليها جيري في الإعجاب ، ثم قال :

- هل تعنين أن أمك .

أحنت رأسها بإرتباك .

ولكن جيري تضاعف الإعجاب ، قال :

- سارة ، اتقي لو أنك كفتت عن هذا الموقف .

- تقصد ألا أحارب كولدفيك ، سوف أحاربه بأظافري وأسناني ،

لن اسلم أبداً ، يجب انقاذ ماما .

- اتقي لو تزعت يدك من كل هذا ، إن أمك تعرف ماذا تريد .

قالت في إصرار :

— قلت لك من قبل إن ماما ضعيفة ، إنها تتأثر لتعاب الناس
وتبني تصرفاتها معهم على أساس هذا التأثر ، إنني أحاول انقاذها من
زواج فاشل .

قالك جيري شجاعته وقال :

— أعتقد إنك غيوره يا سارة !

نظرت إليه في حلق وصاحت :

— حسنا ، إذا كان هذا هو رأيك فيجدر بك ان تنصرف الآن !

— لا تقضي مني ، لا بد انك تعرفين ما انت مقدمة عليه .

قالت سارة في ثقة :

— أعلم ذلك بالتأكيد .

* * *

- ٣ -

كانت برنتيس تجلس امام دولا ب الملابس عندما دخلت لورا
ويستابل .

- هل تشعرين بتحسن الآن يا آن .

ابتسمت وقالت :

- نعم ، فقد كان غباء شديد مني ان اترك نفسي لمرا طفي هكذا .

- لقد جاء شاب الآن لزيارة ساره ، اسمه جيرى ليولد .

سألتها برنتيس :

- ما رأيك فيه يا ويستابل .

- ان إيتي تحبه طبعاً .

قالت برنتيس في توسل :

- أوه ، ارجو الا يكون ذلك صحيحاً .

هزت لورا رأسها وقالت :

- لا فائدة من الرجاء .

ضحكت آن في مرارة وقالت :

- يبدو إني فاشلة في كل شيء

- إنه شاب فاشل ، اليس كذلك

تهدت برنتيس وقالت :

— نعم ، إنه لم ينجح في أي شيء ولا يريد أن يفعل شيئاً جاداً ،
وأعتقد أنه لن ينجح في حياته على الإطلاق ، إن ابني لمحدثي
كثيراً عن محبة وسوء حظه ، ولكنني أعتقد أن الأمر أخطر من مجرد
النحس وسوء الحظ . ومن الغريب إن ابني تعرف شاباً أفضل
منه بكثير .

أجابت لورا :

ولكنها تجدهم ثقلاء الظل ، هذه هي المادة ، الفتاة الجميلة الناجحة
تفرم بالشاب الفاضل السيء الطالع ، اعترف أيضاً إنني وجدت ذلك الشاب
جذاباً للغاية !

قالت برنتيس :

— حق أنت يا لورا ؟

أجابت لورا بهدوء :

— أيا أيضاً انشأ أهل في نفسي ضعف الأنثى أمام الذكر الجميل ،
والآن طبت مساء يا عزيزتي ..

- ٤ -

وصل ريتشارد إلى شقة مسز برنتيس في الثامنة مساء .
كان على موعد للعشاء مع أرت ، أما سارة فإنها كانت مدعوة
للعشاء والرقص خارج المنزل .

وعندما دخل ريتشارد الشقة وجد سارة جالسة في غرفة الاستقبال
لصباح أظافرها بالمانيكور ، وكان الجو مليئاً برائحة النوشادر المنبعثة
من المانيكور .

رفعت سارة وجهها إليه ، ثم قالت في أدب :

- هالو ريتشارد ..

ثم أخذت تتابع طلاء أظافرها .

أخذ ريتشارد ينظر إليها في قلق ، فقد كان يشعر بأنه يكرهها
بدون حدود .

كان ينوي في البداية أن يكون عطوفاً معها ، وتصور نفسه في
دور الأب الشاسي على هذه الشابة اليتيمة ، ولكن الأمور سارت على
عكس ما كان يريده وملأت قلبها بالبنفص لها .

كما كان يشعر أيضاً بأنها تلك في يدها قيادة الموقف .

كان يروهما وهما وهما أعصابها يحطم أعصابه ويملؤه بالذل والهوان ،

لم يكن في حياته رجلاً مغروراً ، كان دائماً متواضع واثق من نفسه
ولكن سارة هبطت بهذه الثقة إلى الحضيض ، كل محاولاته للتقرب
منها باءت بالفشل

كان يشعر أنه يقول الشيء الخطأ ، ويدمل التصرف الخطأ طوال
الوقت ، ثم بدأ كرهه لسارة يخلق عنده احساساً بالغضب من أمها .

لماذا لا تقف برنتيس إلى جانبته ؟ لماذا لا تفرض على ابنتها ان
تعامل بالحنى ؟ لماذا تأخذ هذا المرقف السلي ؟ إنه موقف يزيد الطين
بلة ، ويجب على برنتيس أن تدرك ذلك .

مدت سارة يدها واخذت تحركها لكي يحف الطلاء .

وبالرغم من يقين ريتشارد إنه من الأفضل الا يقول شيئاً ، إلا أنه
لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يقول :

— اصابعك الآن تبدو وكأنها غارقة في الدم ، انا لا افهم لماذا تصبغ
الفتيات اطافرهن بهذا اللون الأحمر ..

أجابته في هدوء :

— حقاً ؟

شعر ريتشارد بأن هذا السؤال البسيط هو بداية أزمة جديدة ،
وبحث في ذهنه عن أرض امنة ، قال :

— لقد قابلت صديقك الشاب جيرى ليولد هذا المساء ، وقد اخبرني إنه
سيذهب إلى جنوب افريقيا .

— نعم .. سيسافر يوم الخميس القادم .

رد ريتشارد متفلسفاً :

- سيكون عليه ان يعمل يجهد شديد اذا كان يريد أن ينجح في جنوب افريقيا ، إنها ليست بالمكان الذي يصلح لشاب لا يحب العمل .

سألته سارة :

- هل تعلم كل شيء عن جنوب افريقيا ؟

كل هذه البلاد النائية متائلة ، لا ينجح فيها إلا الرجل ذو العزم .
- جيري شاب ذو عزم .

ثم أضافت :

- إذا كان لا بد من استعمال هذا التعبير ..

وما عيب هذا التعبير !

رفعت سارة وجهها إليه ، ونظرت إليه نظره باردة ، ثم اجابت في جفاء :

- إنه تعبير مقزز ، هذا كل ما هنالك ..

واحتقن وجهه ريتشارد احمراراً .

وصاح بعد ان فقد السيطرة على اعصابه :

- من المؤسف ان امك لم تحسن تربيتك !

ولكنها لم تغضب ..

نظرت إليه في هدوء ، ثم ابتسمت وقلعت :

- هل أسأت الأدب .. أنا اسفة حقاً ..

ولكن اسفها ومبالغتها في الأسف لم يهدى ثأثرته ، صاح :

- أين امك ؟

- إنها ترتدي ثيابها ، ستكون هنا بعد دقائق .

ثم فتحت حقيبتها وأخرجت منها امرأة صغيرة اخذت ترى وجهها
فيها ، ثم رفعتها بيدها اليسرى واخذت تعبد طلاء شفيتها وتحدد
باللون الأسود جفونها ..

كان قد سبق لها اتمام زينتها قبل حضور ريتشارد ، ولكنها كانت
تعبد اللّتين الآن .. لأنها تعلم ان ذلك يضابق ريتشارد ..

كانت تعلم أنه يكره ان يرى امرأة تلّزين امام الآخرين .

- البقية في الجزء الثاني -



National Organization of the Alexandria Library (NOL)
Dr. Hassan El-Kharrat

012

5